مكة

في الدراسات الإستشراقية

المستشرق الأب البلجيكي لامنس

المستشرق البريطاني البروفسور كستر

المركز الأكاديمي للأبحاث

http://kotob.has.it

هذا الكتاب:

تعد مرحلة الإسلام المبكر من أكثر مراحل التأريخ الإسلامي إشكالية وجدلية لفواعل متعددة منها: ابتعاد زمن تدوين المصادر وإعادة الإنتاج المستمر الذي كانت تتعرض له المرويات تبعاً لتغيرّ الظروف والسياقات التأريخية. وقد برز هذا على الأبحاث والدراسات الاستشراقية، فالأبحاث التي أجراها الأب لامنس تنتمي إلى جيل نمطي استغل تلك المرويات الموهة وأسبغ عليها ميله ومرجعيته الدينية من أجل تصدير رؤية تتماهى مع منطلقاته، أما الدراسة الأخرى للبروفسور كستر فتنتمي إلى جيل مارس نقده على تلك الأخبار وأسبغ عليها معتقده ومرجعيته الثقافية والفكرية، فكتاب **مكة في الدراسات الاستشراقية** يُعد أنموذجاً مثالياً للتعبير عن التفاوت الاستشراقي في التعاطي مع الإسلام المبكر.

ISBN 978-0-9921030-9-5

http://kotob.has.it

الأب لامنس

١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م

- مستشرق بلجيكي قدم في شبابه على لبنان ودرس في جامعاتها.
- عمل أستاذ في التاريخ الإسلامي في مركز الدراسات الشرقية 1907.
- ترأس تحرير مجلة المشرق منذ عام 1927م.

مؤلفاته:

- مهد الإسلام 1914م.
- مكة أبان الهجرة 1924م.
- الطائف المدينة العربية أبان الهجرة 1922م.
- غرب الجزيرة العربية قبل الهجرة 1927
- معابد غرب الجزيرة قبل الإسلام.
- القرآن والسنة بحث في حياة محمد 1910م.
- هل كان محمد أمين 1910 م.
- عصر محمد وتاريخ السيرة 1911م.
- فاطمة وبنات النبي 1912م.
- حكومة الثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيد 1909م.
- دراسات حول حكومة معاوية 1907م.
- خلافة يزيد الأول 1921م.
- زياد بن أبيه والي العراق 1912م.
- معاوية الثاني وآخر السفيانيين 1912م.

http://kotob.has.it

كستر

١٩١٤ـ ٢٠١٠ م

■ مستشرق ذو أصول أوكرانية.

له عدة من المؤلفات والأبحاث منها:

■ آداب الصحبة وحسن العشرة لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي 1954م تحقيق ودراسة.

■ الحيرة بعض الملاحظات عن علاقتها بالقبائل العربية 1965م.

■ الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لكتاب الخراج ليحيى بن آدم 1960م.

■ أوائل الحديث النبوي 1970م.

■ التحنث 1968م.

■ سوق النبي 1965م.

■ ملاحظات حول بعض الأشعار العربية 1966م.

■ فحول القصائد السبع 1969م.

http://kotob.has.it

مكة في الدراسات الاستشراقية

المركز الأكاديمي للأبحاث

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

مكة في الدراسات الاستشراقية

تأليف

المستشرق البلجيكي الأب لامانس

المستشرق البريطاني البروفسور كستر

http://kotob.has.it

مكة في الدراسات الاستشراقية

Orientalist Studies on Mecca

تأليف: H. Lammens-M.J. Kister

تصميم الكتاب وغلافه: المركز الأكاديمي للأبحاث ـ التقويم اللغوي: د. حسين الوطيفي ـ تنضيد: علي الحسناوي.

الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث

العراق ـ تورنتو ـ كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية/Library and Archives Canada

ISBN 978-0-9921030-9-5

بيروت ـ الطبعة الأولى ٢٠١٤

website\\www.academyc2010.com

Email - nasseralkab77@yahoo.com

توزيع: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر: بيروت ـ لبنان

الجناح ـ شارع زاهية سليمان - مبنى مجموعة تحسين الخياط

٢٠٤٧-٧٦١١ بيروت ـ لبنان

Fax: +961-1-830609 Tel:+961-1-830608

Email:tradebooks@all-prints.com

Website:www.all-prints.com

حقوق النشر والاقتباس كافة محفوظة للمركز الأكاديمي للأبحاث.

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن آراء المركز الأكاديمي للأبحاث واتجاهاته.

http://kotob.has.it

مقدمة المركز الأكاديمي للأبحاث

تشكل المدن التأسيسة لانبثاق الأديان أهمية محورية مزمنة في متابعة أصول التكوين والانبثاق ،لذا غالبا ما يلتحم فيها التاريخ الواقعي بالتاريخ الملحمي والقدسي و المثيولوجي ،لتسهم كل هذه الأنواع المتناوبة في صياغة صورة مشبعة بالإتقان التركيبي المعني بالمدينة أو المكان اللامتناهي في قدسيته وهذا يمثل الأساس لرسم الصورة فيما بعد للمراحل المبكرة لنشوء الأديان.

وهذا النظام الواعي في حركته لم يشذ عنه الإسلام فمكة التي تشكل الغاطس العميق لمجريات الإحداث أبان الإسلام المبكر بوصفها المدينة أو البقعة التي انبلج منها هذا الدين،وانفلقت فيه نواته الأولى،لذا تأخذ مكة أهمية مضاعفة في دراسة المرحلة المبكرة التي تعد أكثر المراحل جدلية وإشكالية لفواعل متعددة منها :ابتعاد زمن تدوين المصادر وإعادة الإنتاج المستمر الذي كانت تتعرض له المرويات تبعا لتغير الظروف والسياقات التاريخي ،وانعكس هذا بوضوح بارز على الأبحاث والدراسات التاريخية التي وقع بعضها لاشعوريا في هذا الإشكال واستقبل الشبكة العريضة من المرويات بوصفها مصداق

http://kotob.has.it

تعبيرياً وواقعياً تلك المرحلة وهذا مما أسهم فيما بعد بتكوين الصورة التقليدية و المدرسية عن الإسلام في مرحلته الأولى .

ولم تفلت من هذه الإشكالية الدراسات الاستشراقية ،فالأبحاث – المقدمة في هذا الكتاب – التي أجراها الأب لامنس تنتمي إلى جيل نمطي استغل تلك المرويات المموهة ،وأسبغ عليها ميله ومرجعيته الدينية من اجل تصدير رؤية تتماهى مع منطلقاته ،أما الدراسة الأخرى للبروفسور كستر فتنتمي إلى جيل مارس نقده على تلك الأخبار وأسبغ عليها معتقده ومرجعيته الثقافية والفكرية فكتاب مكة في الدراسات الاستشراقية يعد انموذجا مثالياً للتعبير عن التفاوت الاستشراقي في التعاطي مع الإسلام المبكر.

الدكتور نصير الكعبي

مدير المركز الأكاديمي للأبحاث

تورنتو- كندا

٢٠١٣

http://kotob.has.it

دراسات الاب لامانس عن مكة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الأحابيش

والنظام العسكري في مكة

زمن الهجرة:القسم الاول

لم تكتف مكة . في الجاهلية . بكونها مدينة تجارية واسعة ينعم بها الرأسماليون والمرابون، بل كانت، فضلا عن ذلك، مركزاً دينياً يؤمه . في المواسم . كثير من القبائل العربية. إلا أن مكانها من الحرم كان يجلب إليها[1] عدداً كبيراً من شذاذ القفر الخارجين عن نطاق قبائلهم من أولئك (الخلعاء) و (الصعاليك) و (الفتّاك) و (المتشيطنة) و (اللصوص) و(الذؤبان)[2]. ولا يخفى أن تعدّد هذه الأسماء يكفي للدلالة على عدد أولئك الشذاذ، وعلى ما كان من ضعف في تنظيم

---

[1] اليعقوبي: تاريخه (Houtsma) ٢: ١٤-١٥؛ الأغاني ٢١: ٦٢، ٦٨.

[2] الواقدي: تاريخه (Kremer) ٥٨: الطبري ١: ١٤٣٨؛ الأغاني ٨: ٦٥، وقد سمي هؤلاء اللصوص ذؤبان؛ لأنهم يشبهون الذئاب (ابن الأثير: النهاية ٢: ٥٢)، وهناك (الربيل) أو (الرئبال) وهو اللص الذي يفتك وحده كالذئب (ابن الأثير: ٢: ٦٣)، ويذكر بين هؤلاء الذؤبان بعض الصحابة أو أصحاب النبي (أسد الغابة ٥: ١٧٨).

http://kotob.has.it

السلطة العربية القديمة، وقد أشرنا مراراً[1] إلى تلك الطبقة من الشذاذ الذين كانت قبائلهم (تخلعهم) رسمياً، (فتتبرأ من جرائرهم)[2] وتتخلص من تبعة أعمالهم.

من أهم صفات (الخليع) الجرأة والبطش، وأنه ليفوق فيهما أشهر أبطال العرب وأبعدهم صيتاً، من الذين كانوا يتحينون الفرص لإظهار شجاعتهم، ويراقبون الأحوال فيستغلون ظروفها في العمل على نشر مفاعيل سطوتهم وبطشهم؛ كما روي عن عنترة، وهو أوسع أبطال الجاهلية ذكراً، من أنه سُئل عن أسباب شهرته فقال: (كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأُحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل موضعاً لا أرى لي منه مخرجاً)[3].

أما (الخليع) فإنه كان على نقيض هذا القول يندفع هاجماً فلا يبالي، ولا يفتش عن المخارج. فكان من تأثير هذه الصفات الجريئة أن الكثيرين من بني قريش، من أرباب الأموال، وأصحاب القوافل، لم ينفروا من تكاثر الشذاذ والخلعاء في أرض الحرم؛ لأنهم كانوا يرون فيهم زبائن ذوي أموال لم يبذلوا جهدا كبيرا في تحصيلها، فينفقونها بسهولة في حوانيت مكة. وكانوا يرون فيهم، فضلا عن ذلك، معاونين و (حلفاء)،

---

(١) أطلب كتابنا Le Bercan de p Islam, I, 193-194.

(٢) الأغاني: ١٣: ٢.

(٣) الأغاني ٨: ١٥٢، وقول عنترة هذا يخالف قول عباس بن مرداس (أسد الغابة ٣: ١١٣):

أقاتل في الكتيبة، لا أُبالي أفيها كان حتفي أم سواها!

http://kotob.has.it

يستأجرونهم للمحافظة على قوافلهم الغنية في رحلاتهم البعيدة[1]. وكان لكل سيد من أسياد مكة جماعة من الشذاذ ينتمون إليه، ويختصون به، فهو (مأوى المطرد)[2]. بحسب قول الشعراء. وهم رجاله وحلفاؤه؛ فالبرّاد، وحاجز، وأبو الطمحان، والحرث بن ظالم يبذلون نفوسهم في سبيل الأمويين، والمخزوميين، والهاشميين[3]، ويلقون الرعب في أنحاء الجزيرة بذكر فتكاتهم وأهوالهم. وكذلك نرى أمراء غسان، وملوك الحيرة، وأقيال اليمن يعملون على أن يقرّبوا منهم أولئك الشذاذ فيحسنون صحبتهم، حتى إذا ما أرادوا تنفيذ خطة أو نصب مهلكة، قذفوا بهم فكانوا لهم خير عون. وقد رأينا عدداً من سادة القبائل، إذا ما احتاجوا إلى ذوي جرأة وبطش، أتوا الحرم فاستأجروا من صادفوا فيه من (الصعاليك)[4].

وهي عادة عهدها أرباب السلطة منذ القدم. أو لم يستأجر أبيملك. بسبعين من الفضة. (رجالاً بطالين أشقياء)[5] فتبعوه في غزوته؟ أو لم يستأجر امرؤ القيس (أخلاطاً من شذاذ العرب)[6]، في طلبه بثأر أبيه!.

---

(1) راجع Berceau, I, 334 الأزرقي، ٤٦٣؛ الواقدي ٣٠.

(2) زهير (Ahlwardt) ٣٤: ٣؛ الأغاني ١٠: ٢٨، ٢٣.

(3) الأغاني ١٢: ٤٩؛ ١٩: ٧٦.

(4) الأغاني ٢١: ٦٣، ٦٨.

(5) سفر القضاة ٩: ٤.

(6) الأغاني ٨: ٦٨-٧٠، وفيه (ص ٧٣) ذكر (لذؤبان من قيس).

http://kotob.has.it

إذا ما دقق الدارس في أخبار مكة في العصر الجاهلي ثبت لديه ما كان يقوم به القرشيون من محاولات في سبيل توسيع تلك المنطقة الممتازة الواقعة تحت شعار العاطفة الدينية، المعروفة بالحرم؛ وذلك أن هذا الامتياز الديني كان يضمن لهم. في الغالب. سلامة أرزاقهم، وكان يضع حوانيتهم وبيوت أموالهم على مسافة بعيدة عن جيرانهم من ذوي المطامع الجريئة التي كانت تدفعهم أحياناً إلى غزو منطقة الحرم نفسها فينهبون حتى الكعبة[1]. كان أولئك البدو شر سكان تهامة يرودون حول الحرم، كما كانت قريش نفسها قبل أن ترتقي إلى مركزها الحالي، ترود حول تلك المنطقة، فتؤجر دوابها، وتسير في خدمة القوافل هادية محافظة، هذا إذا لم ترابط متسترةً في غوري تهامة، منتظرةً مرور القوافل فتهجم عليها وتنهبها. لقد طال عهدها بحياة التشرد هذه، فمرن أربابها على الاحتيال والنهب، حتى أهاب بهم سيد جريء هو قُصي، فأخرجهم من فوضاهم، وأدخلهم في قلب مكة فأقامهم فيها أسياداً.

لم يكن عهد قريش ببعيد عن هذه الحياة. إلا أن سادة البطحاء، وأصحاب المصارف الكبرى، وأرباب المضاربات المالية، كانوا ينفرون من تلك الذكريات، دون أن يهملوا الحذر ممن حلَّ محلهم في مرتفعات تهامة المجدبة، ولا سيما بنو غفار[2] المتصلون مثلهم بجذع كنانة. ولم نذكر غفاراً. بين القبائل الضاربة حول الحرم. إلا لأنها تمثل خاصة تلك

---

[1] الأغاني ٨: ١٨٩.

[2] الأغاني ١١: ٤٧.

http://kotob.has.it

الطوائف الفقيرة الجريئة التي كانت تحتال على الحياة، في جوار مكة[1]، بجميع الطرق المشروعة وغير المشروعة.

ولم تكن غفار وحدها في تلك المنطقة، بل هناك قبيلة بني أسلم[2] ،وهي لا تقل عن الأولى في شيء من الخبث، والدهاء، وعدم التحرّج. وكثيراً ما جمعها أصحاب كتب (الصحيح)، بل أن النبي نفسه جمعها في دعائه[3].

وبنو اسلم يمثلون في قبيلة خزاعة ما يمثله بنو غفار في قبيلة كنانة المنافسة على فرق أن الخزاعيين تقربوا من النبي. منذ أول عهده. نكاية بالقرشيين منافسيهم وحلفائهم في مكة[4]، ولهذا رأينا أن نذكر منذ الآن غفاراً واسلم ،على ما بينهما من عداوة أصلية[5]، ذلك أن قريش اعتادت أن تختار من هاتين القبيلتين ضباطاً لعسكرها المأجور المعروف باسم (الاحابيش).

على أن هذه العلاقات بقريش ما كانت تمنع أفراد القبيلتين عن متابعة مفاسدهم فتراهم ينهبون، ويقتلون من يستفردونه من أهل مكة،

---

(1) وقد ذكر بعض الغفاريين في أرض المدينة (الأغاني ٤: ٢٠)، وهناك أحد صغارهم يرشق نخل الأنصار (ابو داود: السنن (طبعة الهند) ١/ ٢٢٤؛ الذهبي: الميزان ١: ٤٥٥).

(2) الأغاني ٢١ :٦٨.

(3) الترمذي: الصحيح (طبعة الهند) ٣: ٢٣٤، الطبري: ١: ١٦١٩.

(4) لقد انتزع قصي الرئاسة من خزاعة، على أنه لم يطردهم من أرض الحرم.

(5) حسان بن ثابت: ديوانه ١٦٠: ٩ يذكر معاً غفاراً وأسلم.

http://kotob.has.it

دون أن يستثنوا المسلمين أنفسهم[1]، وهي مآتٍ قد تمتاز بها غفار على أسلم.

أما الأوتار بين أفراد القبيلتين، بدواً وحضراً، فكانت دائمة كلما انقضى وِتر منها تجدد آخر[2]. وكان الغفاريون مشهورين بالتلصص ونهب المسافرين حتى الحجاج منهم، فسموا (سرّاق الحجيج)[3]، يفعلون ذلك فلا يحترمون أرض الحرم ولا أشهُره. وكانوا ينزلون منطقة بدر[4] وأرض فُرع[5]، فيجتمعون شذاذاً من السراق والفتاك[6]، يعرقلون سير القوافل، ويفسدون على تجار مكة آمالهم ومساعيهم.

وقد ظل البرّاد مثالاً أعلى لأولئك الخلعاء الغفاريين، يقوم بمغامراته خفيةً ثم ينشرها في أنحاء الجزيرة بكل ما تقتضيه شروط التمثيل المسرحي من ظهور وافتخار. حتى ضج القرشيون من أعماله فاستلحقه بنو أمية وجعلوه حليفاً لهم، وأنزلوه مكة، بيد أنه لم يفارق ما شبّ عليه من أعمال النهب والسلب، فعاد القرشيون إلى التذمر منه. فترك المدينة دون أن يترك خلف الأمويين. ثم علقت الأسطورة بمغامراته وما اتصفت به من جرأة وحيلة وبطش، فتوسعت فيها،

---

(1) الواقدي ٣١؛ ابن هشام: سيرة الرسول ٤٣١؛ أسد الغابة ٢: ٢٢٥.

(2) ابن هشام: السيرة ٤٣١.

(3) الطبري ١: ١٦٢٠، ١٦٥٠؛ الأغاني ١٦: ٦٣؛ ابن هشام: السيرة ٨٠٣؛ أسد الغابة ٣: ١٥٠.

(4) السمهودي: وفاء الوفاء ٣: ٢٥٩.

(5) السمهودي: وفاء الوفاء ٢: ٣٩٠.

(6) مسلم: الصحيح ٣: ٢٦٧- ٢٦٨؛ ابن سعد: الطبقات ٤: ١٦١، ١٦٢، ١٦٤.

http://kotob.has.it

وولدت منها آثاراً أُضيفت في ما بعد إلى المجاميع الأدبية المختصة (باللصوص)[1].

وإذا ذكرنا بني غفار وبني أسلم فإننا لا ننفي وجود الخلعاء في سائر القبائل والبطون. فلكل قبيلة، شريفة كانت أو حقيرة، لصوصها وخلعاؤها، تدفعهم فطرتهم الفوضوية إلى الخروج عن الأنظمة والشرائع. حتى أنه ليصعب علينا، إذا ما دققنا البحث في حياة كبار السادة أنفسهم كحاتم طيء، وعروة بن الورد، وتوبة بن الحُمير، أن نميز في شخصياتهم أخلاق الفارس الكريم من صفات اللص الصعلوك؛ كما أنه يصعب علينا أن نفصل. في تلك الحروب العربية. بين الغزوة المشروعة في نظر البدو، والسرقة البسيطة.

ولم يكن هذا الجمع بين صفات الفروسية ومظاهر الصعلكة ليجحف بحق أولئك السادة، أو يحط من قدرهم في نظر السلف[2]، فإن شريعة القفر ما كانت لتصم هذه الأعمال بالوصمة الشائنة، بل جل ما كان ينال الصعلوك تعرّضه للخطر، وتعريضه قبيلته للثأر بعض الأحيان. أما ما سوى ذلك من عار أو احتقار فلا وجود له. وكثيراً ما كان الشعراء من أولئك الصعاليك يفتخرون . بكل إخلاص . بأنهم يموتون. كما عاشوا. على سُنة الإباء والشرف[3].

---

(١) الأغاني ١٩: ٧٥-٧٦؛ وأطلب ابن عبد ربه:العقد ٣: ٩٣؛ ابن هشام: السيرة ١١٨-١١٩.

(2) Le Berceau ...I, 191 etc.

(٣) الأغاني .11 :Berctau, I, 159, 45

http://kotob.has.it

ولم يرتفع صوت واحد منهم فيخرجون من غرورهم وادعائهم. أما الفرق بين الغزوة والسرقة فهو أن الغزوة كانت شرطاً من شروط الحياة البدوية، بل هي صناعة وطنية في ذلك القفر[1]، لا يُلام عليها إلا إذا خرجت من كونها عمل الجمهور فانفرد بها واحد أو اثنان في سبيل منفعةٍ خاصة لا تهم القبيلة بمجملها، على أنه . حتى في هذه الحالة الخاصة . لم يكن البدو ليخفوا إعجابهم بأعمال الصعاليك الجريئة، ولاسيما بحيلهم الغريبة.

وكثيراً ما كان الصعاليك يتحدون فيؤلفون جمعية من اللصوص لا تقف في وجهها العقبات، كما نرى في بني غفار نفسها، وقد ساعدهم في أعمالهم هذه أن بلادهم كانت على ممر القبائل من مكة إلى الشام[2]، والأغرب أن سادة هذه القبيلة لم يفكروا بخلع هؤلاء الصعاليك[3]، حتى عُرفت قبيلتهم بهذا، ورأى بعض الشرّاح أنهم هم المقصودون بحملات القرآن على البدو في مثل الآية: (وممن حولكم من الأعراب منافقون)[4] ،فإذا صح هذا الشرح، كانت هذه الآيات ترقى إلى عهد

---

[1] Berceau, I, 177.

[2] أسد الغابة ٥: ١٨٧؛ وفيها أن غفاراً كانت تنزل في عرج، متوسط الطريق بين مكة والمدينة (٥: ١٤٣)، وفي الكتاب نفسه أن بني أسلم كانوا ينزلون ذاك المنزل (٥: ١٤٢).

[3] بل قد يفتخرون بهم كما قالوا، وقد رأوا رجلاً مجهولاً لا يحترم الكعبة: (ما اخلق أن يكون من بني بكر) (أسد الغابة ٣: ١٥٠) أما التسمية ببني بكر فإن غفاراً كثيراً ما دُعيت (بكر بن عبد مناة).

[4] القرآن ٩: ١٠٣؛ راجع الواحدي: أسباب النزول ١٩٤؛ الطبري ١: ١٦١٩؛ ابن هشام: السيرة ٨٩٦، ٩٣٧.

http://kotob.has.it

كانت عليه غفار لا تزال على حلف قُريش تخدمها في صفوف الأحابيش. ولكن لم يكن العهد بعيداً بيوم يُغدق فيه النبي الدعوات والبركات عليها، وعلى منافستها قبيلة بني أسلم.وأننا نفهم الآن لماذا كان يتردد الغفاريون في ذكر نسبهم أمام أهل مكة، وقد سبق أن آذوهم بنهب أموالهم. وقد كان يجتنب ذكر هذا النسب حتى من يقبل على الإسلام من الغفاريين، وكأنهم يستحيون من ذكره أمام النبي نفسه، كما حصل لأبي ذر عندما التحق بالنبي، فقال بعد ذلك: (كره أني انتميت إلى غفار)[1]، وكان أبو ذر.أول أمره.من أولئك الصعاليك.

ثم قدسه الإسلام، واتخذته الشيعة خاصة من أوليائها[2]. بيد أن الغفاريين أدوا خدمات جليلة للنبي، فوجب على كتب الحديث أن تدوّن مناقبهم[3]. وقد اكتفى النبي.في عقابهم على سيئاتهم العديدة.بأن أظهر أسفه[4]، طالباً من الله أن يعفوا عن هذه السيئات، مستنداً إلى الاشتقاق البياني مقابلاً بين اسم القبيلة (وفعل الغفران، قائلاً: (غفار

---

[1] ابن حنبل: المسند ٥: ١٧٥.

[2] ابن سعد: الطبقات٦: ١٦٢؛ اسد الغابة ٥: ١٨٧-١٨٨؛ مطهر المقدسي (Huart) ٥: ٩٣.

[3] مسلم: الكتاب المذكور آنفا في الموضع المذكور آنفا؛ ابن حنبل: المسند ٣: ٣٣٠، ٣٦٩، ٤٢٠، ٤: ٥٥، ٥٧؛ الدارمي: المسند (مخطوطة ليدن) ٣١٣-٣١٤؛ البغاوي: المصابيح ٢: ١٩١-١٩٢؛ الترمذي: الصحيح (طبعة الهند) ٣: ٢٣٣-٢٣٤؛ ابن الدبيع: تيسير الأصول ٣: ١٠٩؛ وقابل بما ورد في السيوطي: موضوعات ١: ٧٥.

[4] ابن سعد: الطبقات ٤: ١٦٤؛ ويدعى بنو غفار (بكر بن عبد مناة) كما قدمنا، الأغاني ١٩: ٧٤-٧٦.

http://kotob.has.it

غفرها الله)[1] ولا يخفى أن حاجته إلى من يتكل عليهم في مقاومة أعدائه دعت به إلى التسامح، والتجاوز عن مساوىء رجاله[2]، فضلاً عن كون الإسلام (يجب ما كان قبله) أي يمحو ما تقدمه من السيئات[3]، فعمل على استجلاب شذاذ الغفاريين،عاهداً إليهم بقيادة الغزوات المخطرة، تلك التي كان يخشى من السير فيها بعض الصحابة من قريش[4]. ذلك أن النبي . وهو القرشي . لم يكن لينسى شجاعة هؤلاء الشذاذ وتفوقهم الحربي على المهاجرين من التجار والسماسرة الذين اقتلعتهم الهجرة من حوانيتهم ومصارفهم في مكة. وفي أثناء تغيباته عن المدينة، كان يعهد للغفاريين أيضاً[5] بالسهر على نظام العاصمة الجديدة، أو في غير ذلك من الشؤون. حتى كان منهم أحد خدمه[6] على أنه لم يكن يهمل مراقبتهم والحذر منهم أحياناً[7].

---

[1] اسد الغابة ٣: ١٧٨، ٣٩٨.. مسلم: الصحيح ١: ٣٥٤، ابن الأثير: النهاية ٣: ١٦٥؛ ٤: ٣٣٢.

[2] أطلب بحثنا في Ziad ibn Abthi, 3 في Mo'awia؛ وابن حنبل: المسند ٤: ٧٤.

[3] أسد الغابة: ٥: ٥٤، ابن هشام: السيرة ٧١٧-٧١٨.

[4] الطبري ١: ١٥٧٥.

[5] ابن سعد: الطبقات ٣: ٤٤، ٧٧، ٨٧، وذلك لأنهم، وهم من كنانة، كانوا أبعد من أن يتحدوا مع العناصر الوطنية أو تلك العناصر المضطربة المتذبذبة في المدينة، قابل بما في أسد الغابة ٤: ٢٥٠؛ وقد ذكر ابو ذر بين أولئك الغفاريين (الطبري ١: ١٦٣٧)؛ ابن هشام: السيرة ٥٤٠، ٦٦٢، ٦٦٨، ٧٣٥، ٩٠٥، ٩٦٦.

[6] أسد الغابة ٥: ٧٧.

[7] قابل بما في أسد الغابة ٤: ١٣٧؛ وفي مصدر آخر أن بعض الغفاريين حضروا يوم بدر حضور الشاهدين المنتظرين نهاية العراك ليسلبوا المغلوبين (أسد الغابة ٥: ٢٦٠) على أن

http://kotob.has.it

أما وقد تحققنا صفات الغفاريين هذه، فسهل علينا أن نفهم رغبة أهل مكة في جذبهم إلى حلفهم، وإسراعهم إلى الاحتفاظ بهؤلاء الجيران المندفعين إلى النهب[1]، المضطرمين رغبة في الإفساد، حتى أنهم كثيراً ما أزعجوا القائمين بسوط عكاظ[2].فوجب من ثم أن يعمل القرشيون على صرف هذا النشاط وتسيير تلك القوة إلى ما فيه مصلحتهم والدفاع عن منافعهم السياسية والتجارية.وهكذا نشأت فكرة استخدام أولئك البدو . بدو تهامة . سواء أكانوا ينتمون إلى كنانة أم إلى خزاعة. فجعل القرشيون يختارون منهم عدداً من العسكر المأجور ألّف النواة الأولى، أو الضباط الموظفين أو (أركان الحرب) . كما نقول اليوم . في ذاك الجيش من (الأحابيش) المتصف بالشهرة الواسعة في (المغازي)، أو حروب محمد. ولما تم ملاك الجيش الخارجي بأولئك البدو المأجورين، عمد بنو قريش إلى تعبئة أقسامه بعدد من الأفريقيين النازلين مكة[3].وقد كان من تقاليد العرب أن يستخدموا . عند الحاجة . من كان يرتزق في بلادهم من الأفارقة عبيداً كانوا أم فعلة ومهنة، وذلك لما عُرف من شجاعتهم، وجلدهم، وطاعتهم، حتى أن سادة القبائل الحجازية، و (ملوك

غيرهم من العبيد الغفاريين كانوا يحاربون مع النبي في بدر (أسد الغابة ٤: ٣٣٨؛ ابن الأثير: النهاية ٣: ٩٦).

(١) جاء في أسد الغابة (٣: ١٩) أن أخت أبي سفيان كانت زوج لسيد غفاري من حلفاء قريش.

(٢) الأغاني ١٩: ٧٤؛ العقد ٣: ٩١، وأن العشرة الأميال المذكورة في الصفحة ٩٣، السطر الأول، لا تمثل المسافة بين عكاظ والطائف، كما يتوهم المؤلف، بل هي طول سوق عكاظ.

(٣) الأغاني: ١: ٥٢؛ الطبري ١: ١٦٣٠.

http://kotob.has.it

العرب)، كانوا يؤلفون من أولئك الأحباش حرسهم الخاص، وهذا ابن سعد يذكر عن احد سادة هذيل إنه كان (يمشي وراءه الأحابيش)[1].وليس من شك في أن هؤلاء (الأحابيش) من سودان أفريقية، لا من العرب أحلاف بني قريش. وهذا صاحب الأغاني يذكر أن الملك سيف بن ذي يزن قد استخدم في جيشه رجال ابرهة، بعد تلك الغزوة الاكسومية التاعسة[2].

ومهما يكن من خطر في اتخاذ هؤلاء العساكر، فإن خبراء العرب بالشؤون الحربية كانوا يفضلون السودان. لحسن طاعتهم[3]. على رجال البدو النافرين من كل نظام، الرافضين الحرب إلا إذا كانت منفعة قبيلتهم الخاصة تدعو إليها.وفي عصرنا هذا لا يزال أفراد الجيش. في حضر موت. من المستعبدين[4].وإذا فقد كان أبناء جبال الحبشة، قبيل الهجرة، رجال الجيش وأفراد الشرطة في بلاد العرب. ولم تكن من صفاتهم الغالبة الأمانة والإخلاص، بل قد يرتدون على ساداتهم ويقتلونهم[5]. على أنهم كانوا يتصفون بالشجاعة الجريئة، والهزء بالخطر، والخضوع للنظام، وهي صفات اختص بها عنصرهم على مر

---

[1] ابن سعد: الطبقات ٢: ٣٦.

[2] الأغاني (طبعة صالحاني) ٢: ٥٣؛ وقابل بالاغاني ١١: ١٣٢، ١٦: ٧٥؛ الجاحظ: البخلاء؛ ٢٤٩ .H.Grimme, Mohammed (1904) p. 7, 249

[3] الجاحظ: رسائله الثلاث (طبعة Van Vloten) ٦٥-٦٦.

[4] Snouck Hurgronje dans zeitschr, f, Assyr, XXVI, 223, 236, N. 3.

[5] الأغاني ١٦: ٧٥؛ أسد الغابة ٥: ٥٣٠.

http://kotob.has.it

الأجيال[1]، وكان من حق العرب أن يعجبوا بها وهي قليلة في ما بينهم. حتى غدا أشجع العرب، وأجراهم، وأفتكهم، أولئك الأبطال من ذوي الدم المختلط بالدم الحبشي أو السوداني[2]، الذين دعوا بحق (أغربة العرب) وكان أشهرهم عنترة بلا خلاف، وليس بعيداً أن يكون لبيد قد أشار إلى هذا الحرس الأفريقي في قوله:

.....حُبشاً قياماً بالحراب وبالآلال[3]

ولابن ذئبة. أحد شعراء ثقيف من غير المشهورين. أبيات يشهد فيها بتذكار ما تركه في مخيلة ساكني جبل سراة والحجاز مرور الحبشيين ظافرين في سهول تهامة، وقد دخلوا بلاد اليمن وأخضعوها، قال[4]:

أبعد قبائل من حميـــر أُبيدوا صباحاً، بذات العِبَرْ

---

(1) وقد استخدم علي بك الكبير هذه الصفات، فجيش في مصر أيالات من السودان راجع de vogue hist orientales, 177 وكذلك الكلام على الجيش المصري قبل محمد علي وبعده أطلب J.Maspero, organization de l'Egypte byzantine, 64.

(2) الجاحظ: رسالته ٦٥-٦٦، وكل رسالته الموسومة بـ (كتاب فخر السودان على البيضان) في المجموعة المذكورة آنفا، ص ٥٧؛ الأغاني ٧: ١٥٠، البلاذري: الأنساب Ahlwardt Berceau, I, 192.. ؛٣٠٦-٣٠٧

(3) الجاحظ: الكتاب المذكور ٧٠.

(4) ابن هشام: السيرة ٣٧؛ الطبري ١: ٩٣٩ Noeldeke, perser- Araber, 194 وفيما يخص الشاعر ذا جدن يقول نولدكه (يظهر أن الشاعر يرى ما يراه الحديث التقليدي بالنثر)، قلت: ولا غرابة في الأمر فإن الحديث جرى هنا أيضاً على طريقته المعروفة، فاستقى معلوماته على الشعر، ولعلنا نتفوق يوماً إلى إقرار هذا المبدأ الأساس في نقد (السيرة) و (الحديث).

http://kotob.has.it

بألف ألوفٍ وحُرابـــةٍ كمثل السماء قُبيل المَطَـرْ

يُصم صياحهم المقربات ينفون من قاتلوا بالزفَـرْ

سمالى كمثل عديد التراب يبس منهم رطاب الشجر

ولم يكن النبي. وقد أصبح أمير المدينة. ليخرج عن هذه العادة.

فكان عنده من (الأحابيش) بلال، وأخوه أبو رويحة[1]- وهي كنية بعيدة الدلالة - وكان بلال يمشي أمامه مستلاً سيفه. على أن

---

[1] أسد الغابة ٣:٨٧، وهناك أبو رويحة آخر، من العرب، وعد صاحب (أسد الغابة) (٣: ٢٠٠) بأن يتكلم عليه في باب (الكُنى) من المجلد الخامس، وقد قام بوعده فوق المقصود (٥: ١٩٥-١٩٦) إذ جعل من أبي رويحة الواحد رجلين اثنين تكلم عن كل منهما. على أن أحدهما مثل، دون شك، دوراً حربياً لا بأس به، فعهد ليه النبي في حمل الراية (٥: ١٩٦، ٤)، وفي المجلد الخامس نفسه من (أسد الغابة) بعض الصحابة أزدوج عددهم فولّد كل واحد منهم صحابيين، وذلك في الصفحات ٥٨، ٦٣، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٧-٨٨، ١١١، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٣٥-١٣٦، ١٦٤، ١٧٧؛ وكذلك في الجزء الثالث في الصفحات ٣٩٦، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٤٦، ٣٦٣، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤١٢، ٤١٧... بل هناك من الصحابة من تثلث عددهم فولّد الواحد ثلاثة صحابيين كما نرى في المجلد الثالث ص ٣٠٣، ٣٩٧؛ والمجلد الخامس، ص ١٤٨، على أن ابن الأثير شعر بشيء من هذه الازدواجات والتعدّدات، فشك في حقيقتها، أو أشار إليها صارحة كما في ٣: ٢٤، ٢٥، ٢٩-٣٠، ٣٥، ٤٥-٤٦، ٥٧-٥٨، ٩٢-٩٣، ٩٤-٩٩- ١٠٠، ١١٧، ١١٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٦، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٣، ١٨١، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٩٥، ٣٨٨، ١٨٩، فقال إن الالتباس بين (الاب) و (الابن) عمل على تكثير الصحابة ٣: ١٦٥، ٣٨٨، وفي هذه الصفحة ذكر لصحابي وهيم لم يوجد. وفي ٥: ٥٠-٥١، ذكر لصحابي من الجن...

http://kotob.has.it

الأخوين لم يكونا الوحيدين من بني جلدتهما في بلاط يثرب. فقد أشار المحدثون إلى وجود غيرهما من الحبش في حاشية النبي، حتى أنهم ذكروا من هؤلاء أخا النجاشي نفسه[1] وقد اهتمت (السيرة) ببلال اهتماماً خاصاً، لأنها رأت فيه (سابق الحبشة) كما تسميه تراجم الصحابيين[2]، أي السابق من رجال الحبشة إلى الدين بالإسلام. ثم صار بلال، بعد ذلك، في نظر أرباب الحديث، مثالاً لجميع المؤذنين، أولئك الأشخاص ذوي المركز المتواضع في الجماعة الإسلامية وذوي الفائدة الجمة إذ يدعون المؤمنين إلى الصلاة. بيد أن هذه النزعة في أصحاب الحديث لإظهار بلال على هاتين الصورتين قد أهملت ـ دون شك ـ كثيراً من المعلومات عن بلال الحبشي، فأفسدت ما كان من الممكن أن نستخلصه عن دور بلال في حاشية النبي قائماً بما كان يقوم به أمثاله من الأحابيش في حاشيات سراة القوم من القرشيين. ولعلنا كنا توفقنا إلى وجود نظام (للأحابيش) في المدينة، كما وجدنا نظاماً لهم في مكة[3].

كان المكيون ينتخبون رجال شرطتهم من جمهور بدو تهامة، وعبدان أفريقية، فيؤلفون القوة العسكرية المدافعة عن تلك الجمهورية التجارية. وكان الغفاريون كثيراً ما يتولون قيادة تلك القوة فيكون

---

(1) راجع في ما تقدم أسد الغابة ٣: ٣٦؛ ٥: ٢٨٦، ابن حنبل: المسند ٤: ٩٠، أبو يوسف: الخراج ١١٩، وكتابنا في Futima, 66, 69 وقد ورد ذكر عدد من السودان في حرس بعض الأسر المكية الكبيرة (أسد الغابة ٤: ٢٥٣).

(2) أطلب ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير، وفي الإصابة لابن حجر.

(3) قابل بما سنورده آنفامن أن النبي استقبل بحفاوة عدداً من سودان مكة. وهناك غيرهم من السودان كانوا يرافقونه مسلحين في غزواته (ابن سعد: الطبقات ٢: ٩٠).

http://kotob.has.it

الملاك أو أطار الجيش منهم، أما المادة فمن (الأحابيش)[1].وليس في هذا الجيش المأجور من العناصر الوطنية المكية ما يستحق الذكر. ذلك أن قريش كانت قبيلة قليلة العدد حتى أنها لم تكن لتحتل منطقة الحرم بكاملها. فكانت كلها تنزل وادي الكعبة الضيق[2] ولا نرى أن عدد القرشيين أزداد منذ أن ترك أجدادهم حياة البداوة، فتحضروا في مكة، بل أننا، لولا من كانوا يستلحقونهم بهم من الحلفاء، لتحققنا نقص عددهم الأصلي. ولا يخفى أن مرافق الحياة في ذاك الوادي، وادي الغور، الضيق المعرّض دائماً للفح السموم، الخالي من الماء، ومن الهواء اللطيف، ومن الشجر – حتى نعته القرآن بأنه (غير ذي زرع)[3]– كانت أبعد من أن تسهل النموّ الطبيعي في حياة شعب حضري.

ولهذا لم يوافق نمو القبيلة ازدهارها الاقتصادي العجيب، فكان بعض كبارها يتذمرون من مناخ مكة، فيقولون ما قاله صفوان بن أمية وزملاؤه من رجال (الملا) أو مجلس الشورى القرشي: (ليس لنا بها مقام)[4] هذا على الرغم من أنهم كانوا يتمتعون بالراحة المستطيلة مدة

---

[1] في الأغاني ١٩: ٧٦ ذكر لأحد الغفاريين سيد الأحابيش، وإني أميل إلى الرأي بأن الغفاريين الذين قادوا رجال النبي في المدينة، كانوا أولاً من سادة أحابيش مكة.

[2] قابل بما في ابن هشام: السيرة ٧٣، وهو يشرح اسم (بكة) بما كان فيها من الازدحام.

[3] (وادٍ غير ذي زرع) القرآن ١٤: ٤٠، وقد طلب القرشيون آيةً على صحة نبوة محمد أن يوجد لهم نخيلاً وجنائن (القرآن ١٧: ٩٣؛ وراجع أسد الغابة ٣: ١١٨) وأطلب شهادة القديس يوحنا الدمشقي الواردة في .Zeitschr.gur Assyriol, XXVI, 182

[4] الواقدي ١٩٦.

http://kotob.has.it

الصيف في قصورهم البهجة في الطائف[1] وجبل سراة.وعليه فقد اضطرت مكة إلى استخدام المأجورين في سبيل المحافظة على الأمن الداخلي، والدفاع عن منافعها التجارية، وأن تعرّضت أحياناً إلى مخاطر سياسية كانت تتخلص منها بالدهاء والحيلة. وفضلاً عن ذلك، فإن أولئك المأجورين من الشذاذ والفتاك والخلعاء واللصوص والأحابيش اللاجئين إلى ضواحي مكة أو (الظواهر) كانوا يفوقون بما لا يُقاس رجال قريش، (قريش البطحاء) أو (قريش الوادي) أي سكان وسط المدينة من السراة، رباطة جأش، وشجاعةً، وجرأةً. ولنا شاهد في يوم بدر، وقد انتصر فلاحو المدينة على القرشيين على الرغم من الزيادة في عدد هؤلاء، والتفوق في تسلحهم، وذلك لأن القرشيين لم ينتظروا تنظيم الأحابيش.يدفعنا كل ما تقدم، وما سيلي، إلى الإقرار بأن البدو لم يكونوا يعدّون في شيء شجاعة القرشيين، ولم يشأ شعراء الجاهلية أن نجهل ذلك، وهو رأي جدير بأن نقف قليلاً لنفهمه، وقد يكون منه فائدة في تمحيص تلك الأساطير المتعددة التي حاكتها المخيلات حول أبطال (المغازي)، إذا توفقنا يوماً إلى درس القسم الحربي في سيرة الرسول[2].

وقد أُثار هذا المشكل أحد مترجمي النبي من الأوربيين، في سيرةٍ كتبها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر؛ وجرّب أن يحلّه بشرحٍ رأينا أن نورده على طوله، قال: (قد يبدو غريباً أن يكون العرب، ولاسيما المكيين منهم، الغارقين بالشؤون التجارية، قد ظهروا دائماً على قسطٍ من

---

[1] راجع كتابنا في Taif a la veille de l'hegire, chap III, 45, aqq.

[2] أطلب الجزء الثاني من طبقات ابن سعد، وهو مختص بالمغازي.

http://kotob.has.it

الشجاعة والميل إلى الحرب. ولا يخفى أن شعباً دائم الاهتمام بكنز الأموال لجديرٌ بأن يعرض عن ذاك المجد الذي يوليه الرأي العام حملة الأسلحة. ولكن التجارة في بلاد العرب كانت مرتبطة بمهنة الحرب. كان لابد من اجتياز المفازات المقفرة... يعيث فيها الشذاذ فينهبون المسافرين... فوجب الاستعداد الدائم للهجوم أو للدفاع، لنهب القوافل أو للمحافظة عليها. وهكذا غدت حياة العرب حالةً حرب دائمة، فألفوا المخاطر، وكان لهم ما يعزز شجاعتهم القومية)[1].هذا ما حاول تورين أن يشرح به تلك الشجاعة المنسوبة للمكيين. وهو يظهر طبيعياً لأول وهلة، حتى أننا لا نكاد نتردّد في إثباته لو لم يكن هناك، قبل تأليف (السيرة) وخارجاً عنها، تقليد أدبي شعري يناقض هذه النظرية المتأخرة المنشأ. وقد كنا تجرأنا على الشك في صحة هذه النظرية، إذ عرضنا لتلك الأعمال البطولية الجبارة المنسوبة لعلي بن أبي طالب، ولحمزة[2].فرد علينا المرحوم كليمان هوار قائلاً: (إن أولئك العرب كلهم، حضراً كانوا أو بدواً، كانوا يولدون رجال حرب)[3] والحال أن هؤلاء البدو أنفسهم يعلنون، بلسان منشديهم وشعرائهم، إعراضهم عن تلك الأناشيد المأتمية التي تُردّد على قبور الأبطال، ونفورهم من أن يكونوا في تلك القبور؛ ذلك أنه مهما تبالغ النساء في الندب والبكاء، ومهما يردّدن (لا تبعد!) فإن تلك الأناشيد لا (تعيد البطل إلى

---

[1] Turpin, Histoire de la vie de Mahomet, paris, 1773, I, 303-305.

[2] راجع كتابينا Fatima, 29, Bcrceau, I, 191..., 332-334.

[3] Jouru, Asiat, 1913, 216. وهي حجة تورين المذكورة آنفاً

http://kotob.has.it

الحياة)[1].أما قبيلة قريش الحضرية فقد اهتمت اهتماما كبيرا بأن تؤيد شهرتها، فتحمي نفسها بعدد من الأقوال والوصايا منسوبة للنبي[2] ويراها المطالع مبسوطة في كتب (الصحيح)، و(السنن) وكلها تنطق بيقظة الخلافة العباسية، وغيرتها على حفظ هذه الشهرة السائرة. وأن يكن قد وصل إلينا شيء من الشعر البدوي القديم يناقض هذه الشهرة[3]، فلا شك في أن ذلك من نتائج الصدفة التي أبعدته عن عيون المراقبة العباسية. فعرفنا، بالإستناد إلى هذا القليل من الشعر، إن البدو كانوا ينظرون إلى قريش غير نظرة جمّاع الأحاديث. كانوا يرون في قريش تجاراً لا همَّ لهم إلا جمع المال والإكثار من الأرباح، وهم ما عدا ذلك، جبناء لا يجرأون على تسيير قوافلهم إلا إذا دفعوا لبعض سادة القفر مبلغاً من المال في سبيل خفارة تلك القوافل[4]، فتسير آمنةً (بما فيها من الحُماة والخفراء)[5] ثم أن البدو كانوا ينفرون من الإقامة بمكة، لأنها كانت تمثل لهم مكاناً لا راحة فيه.

---

[1] أطلب في ذلك Rhodokanakis, Al- Hansd' und ibre Trancrlieder, 58.

[2] راجع مثلاً: ابن الديبع، تيسير الوصول ٣: ١٠٨-١١٠؛ ابن سعد: الطبقات ١: ٢.

[3] كذلك الشعر الذي حذفه ابن هشام، عندما أعاد النظر في (السيرة) ص ٥٧٣.

[4] وهو أمر لابد منه. أطلب العقد ٣: ٩١؛ الأغاني ١٩: ٥٧- حتى أن محمداً يذكر من العجائب أنه يأتي يوم تسير فيه المرأة بلا خفير، أسد الغابة ٣: ٢٩٣.

[5] الجاحظ: رسائله ٦٦؛ العقد ٢: ٨٠- واطلب، في شجاعة المكيين، الأسانيد العديدة التي يوردها Snouck hurgronje, Mekka, I, 31-32 حتى أن القرشيين تركوا الغزو لما كان يعرّضهم له من السرقة والغصب.. السيرة الحلبية ١: ٣٣٣.

http://kotob.has.it

ولا مرتع للعين، أو متقنص ولكن تجراً، والتجارة تحقر[1]

وهم يفتخرون أحياناً بأنهم يفلقون جماجم أولئك التجار، ويشقون زقاق خمورهم، فينتقمون لأنفسهم أو لذويهم، وقد أجحف القرشيون بحقهم، في تلك الأيام العصيبة التي كانوا يلجأون بها إلى مكة فيقفون على أبواب المصارف القرشية يطلبون قليلاً من المال على سبيل القرض[2] فكان لابد من أخذ الثأر، ومن أن ينتصر البدو لأنفسهم من أولئك التجار الذين اهانوهم فآلموا كبرياءهم، ولهذا كانوا ينتظرونهم خارج مكة، فيهاجمونهم على رغم ما كان يعلقه القرشيون على أنفسهم من لحا الشجر ليموهوا على الناس أنهم حجاج فلا يتعرضوا لهم ذلك ما نستنتجه من قول الشاعر معاوية بن أوس، وهو جاهلي:

وزقٍ سبأت لذي متجـرٍ أسيود كالرجل الاسحـم

ضربت بغيه علـى نحره وقائمه كيـد الأجـذم

إلى التاجر العربي الشحيح أو خمر ذي النُطف الطمطم[3]

ومن شرح الجاحظ (أراد بهذا كله قريش. يقول هم تجار، وقد اعتصموا بالبيت، وإذا خرجوا علقوا عليهم المقل ولحا الشجر حتى

---

(1) الجاحظ: رسائله ٦٣، ويقول الطبري في تفسيره ٣٠: ١٧٣، عارضاً للسورة ١٠٦ من القرآن، إن البدو كانوا لا يتعرضون لقوافل قريش. وهذا من تأثير تلك النظرية الرسمية الرامية إلى إقرار السيادة القرشية حتى في العصر الجاهلي...

(2) راجع كتابنا La Mecque a la veille de l'hegire.

(3) الجاحظ: رسائله ٦٣؛ البكري: المعجم ٦٩٩، الأزرقي ١٥٥، ٤٨٩.

http://kotob.has.it

يعرفوا فلا يقتلهم أحد)[1]. وكان البدو. إذا اكتشفوا هذه الحيلة. تزداد نقمتهم على أكلة (السخينة) والسخينة نوع من الطعام يُتخذ من الدقيق ويؤكل في شدة الدهر وغلاء السعر، وكانت قريش تأكله فعيبت به وهجيت[2]، حتى لُقبت (بالسخينة) قال خداش بن زهير:

يا شدة ما شددنا، غير كاذبةٍ على سخينة، لولا الليل والحزم

وقال عبد الله بن همام:

إذا لضربتهم حتى يعودوا لمكة يلعقون بها السخينـــا[3]

وإننا لنسمع صدى هذا اللقب. خمسين سنة بعد الهجرة. في أهجية مرة للنجاشي لذع فيها القرشيين، حتى أن ابن قتيبة، المتعصب للعروبة زمن العباسيين، لم يغفر له هذه الجرأة، فقال عند ذكره: (هجا قريشاً لعنه الله!)[4]، أما الأبيات فمنها:

سخينة حيّ يعرف الناس لؤمها قديماً، ولم تُعرف بمجدٍ ولا كرمُ

فيا ضيعة الدنيا، وضيعة أهلها إذا ولي الملك التنابلة القـــذم

---

[1] الجاحظ: ك.م. ٦٣.

[2] أطلب المصادر في كتابنا Yazid, 45, n3 ابن هشام: السيرة: ٧٠٥؛ ابن الأثير: النهاية ١: ٦، ١٥٢-١٥٣، ١٩٤.

[3] الجاحظ: البخلاء Van Vloten ٣٥٨.

[4] ابن قتيبة: الشعر والشعراء (de Goeje) ١٩٠- أما في شأن عصبية ابن قتيبة للعرب وسيادة قريش فلتراجع رسالته المعنونة (كتاب العرب) المطبوعة في (رسائل البلغاء) الطبعة الثانية، نشر محمد كرد علي. ويبقى أن تثبت نسبة الكتاب لابن قتيبة.

http://kotob.has.it

هذا الهجاء المؤلم أذاعه الشاعر في عهد معاوية الأول، فدل على ما كان لا يزال وأقر في أذهان العرب من ازدراء قريش، على الرغم مما أتاه ذاك الخليفة الكبير، بشخصيته الجذابة وبانتصاراته السياسية، في تقريب العرب من الإقرار بسيادة قبيلته. ومن ذاك العصر أيضاً أهجية أخرى للنجاشي في قريش منها هذا البيت الذي يفوق ما تقدم إيلاماً ولذعاً:

وحق لمن كان سخينة قومه إذا ذكر الأقوام، أن يتفنما[1]

وهناك أمر آخر كان يحط من شجاعة المكيين في نظر البدو، هو ما أشرنا إليه من تعوّد القرشيين في الجاهلية الالتجاء إلى مأجوري الأحابيش في الدفاع عنهم والمحاربة دونهم. وقد ذكر الرواة مقطعاً شعرياً مزدوج الفائدة لأنه يطلعنا على قدم هذه العادة في اتخاذ (الأحابيش) دالاً على أنها ليست من الطرق التي لجأ إليها القرشيون مرةً مفردة أو مراراً قليلة، في عصر قريب من الهجرة، كما يطلعنا على تلك العاطفة المتأصلة في سكان البادية تجاه هذا المظهر القرشي. ذكر صاحب الأغاني المقطع المذكور آنفا، وأشار إلى قدمه قائلاً: (هذا شعر هجوا به قديماً[2])، وهو:

فضحتم قريشاً بالفرار، وأنتم تمدون سودانا عظام المناكبِ

فأما القتال، لا قتال لديكم ولكن سيراً في عراض المواكب

---

[1] ابن قتيبة: الكتاب المذكور آنفا، ص ١٩٠.

[2] الأغاني ١: ٢٠.

http://kotob.has.it

وإذاً فلم يبق من شك في أن المكيين كانوا يستأجرون (السودان) الأفارقة في حروبهم، سوداناً لا شك فيهم، (عظام المناكب)، ولا يخفى أن هذا الوصف ذو قيمة جليلة؛ لأنه يطلعنا على أبناء حام فيحول بيننا وبين ما قد يتوهمه البعض، إذ ينفون وجود السودان ويفترون (الأحابيش) بالعرب المسودة وجوههم بتأثير شمس الحجاز، أو المنسوبين إلى ما يتصوره اللغويون من وجود جبل اسمه الحبشي أو الحُبشي... مما سنعود إليه، هؤلاء سودان يختلفون، (بعرض المناكب)، عن العرب المسوّدة وجوههم في مناطق الغور.

ولكن من كان بالحقيقة أولئك (الأحابيش) الذين ذكرناهم مرّات في الصفحات السابقة؟ يحل ولهوسن المشكل بكل بساطة إذ يحكم، بإيجازه المعتاد، أنهم (حلفاء قريش السياسيون)[1]، وهو قول (السيرة) ترجمه إلى مدلوله العصري ولغته الألمانية. على أن لفظ الاسم، وما يثيره من تفكير بسكان الحبش، يحولان بيننا وبين الإيمان المطلق بالشرح التقليدي[2]، ولا يخفى أن اسم الجلس (حبش) يُجمع على (أُحبوش) و (أُحيوش) يجمع على (أحابيش)[3].

---

[1] Wellhausen, Reste arain, Heidentums, 86, n3.

[2] قابل بما ذكره كفيما هوار في: Cl, Huart, Neuvelles recberches cur in heende de sihnan in fars, p3 فقال: (الأحابيش... لا يسعنا إلا أن نقارب بين هذا الاسم واسم الحبش).

[3] ابن دريد: الاشتقاق ١١٩: تاج العروس ٤: ٢٩٢ Dozy, suppierent ويجمع أيضاً على (حبشان) الأغاني ٢: ٦٨، أما في قول ابن قيس الرقبات (ديوانه ص ١٧٩ البيت الأول): (رجال من الاحابيش) فإن النقطة تعني هنا البدو، وسنرى سبب ذلك في ما يأتي.

http://kotob.has.it

وكلتا اللفظتين تدل على السودان، على سكان حدود ارتيرية، وكانت تشير في أوائل القرن السابع خاصة إلى أولئك العساكر السودان المأجورين[1]. ذلك أن اقيال اليمن، على الرغم مما تناقلوه أباً عن جدّ من التذكارات المؤلمة عن احتلال الحبش بلادهم، كانوا يتخذون حرسهم من رجال الحبش، كما قدمنا. حتى أصبح الأمر شيئا معروفاً يتبعه الأمراء والسادة، وقد كان من الدوافع إليه نفور العرب من الخضوع للنظام العسكري فأصبح لكل بلاط في اليمن، مهما كان حقيراً، عدد من أولئك (الأحابيش) ذوي الحراب، يقومون بما كان يقوم به في أوربا الحرس السويسري. ولنا في شعر أبي الطمحان صورة حية لهذا الحرس الأسود؛ وأبو الطمحان من جملة الصعاليك الشعراء المخلوعين الذين عرفناهم بين اللاجئين إلى مكة، ولا شك في أنه خدم القرشيين خدمات جليلة حتى شرفوه برتبة (الحليف)[2] إلا أن ما يهمنا الآن شهادته القيمة بشأن (الأحابيش) قال:

ولو كنت في ريحان يحرس بابه اراجيل احبوشٍ، واغضف آلفُ

---

[1] الأغاني ١٦: ١٣، ٧٥، الجاحظ: الكتاب المذكور آنفا ٧٠؛ ابن السكيت: تهذيب الألفاظ (طبعة شيخو) ٥٣ وهو يورد قول العجاج (أحبوش من الأنباط) وإذاً فهو غريب عن العنصر العربي. وفي غير ذلك (الأحابيش) = السودان كما في الجاحظ، الحيوان ٣: ١٦٧، وفيها يذكر خصيان من السودان فيقول: (فتيان من الأحابيش)، وراجع ابن حبير: رحلته ١٩٤، ابن بطوطة (١: ٢٧٨).

[2] كان حليفاً للزبير بن عبد المطلب الهاشمي، وهو رجل لا نعرف عنه شيئاً.

http://kotob.has.it

إذاً لا يثنني، حيث كنت منيتي يحب بها هادٍ بأمري، قائـــف[1]

وإذاً فإن (أحابيش) السيرة والحديث يؤلفون هذا الحبيش الأسود، وتكون مكة قد حلت مشكلة تجنيد السودان[2] قبل أوربا المتمدنة بثلاثة عشر قرناً. فلا عجب أن صادفنا في جيش القرشيين فرقاً من هؤلاء السودان، ونحن لا نزال نسمع الكثير من شجاعتهم وأعمالهم حتى في عصر العباسيين، بعد أن نظم الجيش العربي في القرن الأول للهجرة[3]، بمساعي معاوية الكبير، وبفضل تجنيد عرب الشام الذين كانوا قد ألفوا.

---

[1] الاغاني ١١: ١٢٢؛ البحتري: الحماسة (طبعة شيخو) الرقم ٤٤٠، وراجع، بشأن ريهان القصر اليمني، الهمداني: صفة جزيرة العرب ٢٢٤، وبشأن أراجيل، وهو جمع رجال أو رجالة، ابن الأثير، النهاية: ٢: ٧٠، وبانت سعاد (طبعة Guidi) ١٩٦- وفي حماسة البحتري فصل كامل (الفصل الثالث والخمسون) لما يشبه بيتي أبي الطمحان في ذكر الموت وشموله وإدراكه الإنسان حيث كان، وما أشبه قول الشاعر العربي بمقطع ما لرب (Malherbe) على أن يبدل اللوفر بقصر ريهان، والحرس السويسري بالأحابيش:

Le pauvre en sa cabane, ou le ebaume le convre
Est mjet a ses lois
Et la garde qm veille anx barriers du louvre
New defend pomt ont rois

راجع، في ذلك، فؤاد أفرام البستاني: توارد الخواطر بين بعض أدباء العرب وغيرهم من أدباء الأجانب (المشرق ٢٧ [١٩٣٩]: ٦٠٢-٦٠٣).

[2] اطلب في هذا الموضوع L'armee noire dans la Remie des denx mondes, 15 Aoui 1912, p. 849-870.

[3] الجاحظ: رسائله ٧٠، ٧١؛ الازرقي: ١٩٤، وفيه ذكر لجنود من السودان في جيش الحجاج محاصراً مكة، البلاذري: أنساب الأشراف (مخطوطة) ص ٦٩٧ b، وهناك ذكر لشرطة من السودان في المدينة على عهد المروانيين، الأغاني ٢: ١١٢، ولحرس أسود في حاشية خالد القسري، ابن عساكر (طبعة بدران) ٣: ٤١٣.

http://kotob.has.it

نوعاً ما. النظام الروماني. وقد دفعت هذه الذكريات الجاحظ إلى تأليف رسالة ظريفة في (فخر السودان على البيضان)، يرخي فيها العنان لبلاغته وظرفه، فيدل على تفوق السودان في الحروب خاصة على البيضان، أي على العرب[1].

ولنعد إلى زمن الهجرة فنرى من مآتي (الأحابيش) فيه أن أهل مكة لما أسرعوا إلى موقعة بدر. لم ينتظروا تحبيش (أحابيشهم)، وكان ذلك، كما قدمنا، من هفوات زعمائهم أرباب المصارف الذين لم يتعودوا الحروب.

فكان أنهم اكتفوا ببعض الرجال من الحبش أنفسهم خرجوا (يتقاذفون بالحراب) كما يقول الواقدي[2]، ونحن نعرف أن الحراب سلاح الأحباش العادي[3].

ولا يخفى أن الحبش هنا لا تفيد العبيد، فإن المكيين كانوا أبعد من أن يسلموا عبيدهم السلاح وكذلك القول عن وحشي الأسود قاتل

---

(١) طبعت الرسالة في مجموعة من ثلاث رسائل: (مناقب الترك، فخر السودان على البيضان، التربيع والتدبير)، وقد اهتم بطبعها Van Vloten فظهرت بعد وفاته، سنة ١٩٠٣.

(٢) الواقدي (Kremer) ٣٣.

(٣) ابن هشام، السيرة ٥٨٣، الطبري ١: ١٣٨٥ في كلامه على وحشي: (بقذف بحربة له قذف الحبشة) السمهودي: الكتاب المذكور آنفا١: ١٨٧، ١٨٩، وراجع بيت لبيد المذكور آنفاً، ص ١٠.

http://kotob.has.it

حمزة، وابن الأثير يعده (من سودان مكة)[1]، وقد كان دون شك من أولئك الجنود الذين ألفوا مهنة الحرب، وكان يستعمل الحربة كغيره من أبناء جلدته (وقلما الخطأ بها شيئاً) بحسب قول الواحدي[2]، وقد شاء ابن هشام[3] أن يخرج وحشياً من المعركة، بعد قتلة حمزة، ليوهم أن السودان لم يكونوا يحاربون كعسكر منظم، ولكن لا سند لقوله.

بل أننا نرى وحشياً يحارب حتى في عهد أبي بكر، فيشترك في حرب مسيلمة وليس لنا ما يدل على أنه كان وحيداً من أبناء جلدته، بل إننا لا نخطىء إذا عددنا كل الحبش الذين حاربوا في بعوث قريش، في بدر واحد، من أولئك (الأحابيش) النظاميين؛ فخالفنا بذلك أقوال مؤرخي المغازي، وكلهم يضنون على السودان بهذه الصفة، فلا يرون فيهم إلا عبيداً غايتهم الهاء سادتهم بألعاب السيف والترس، كما كانت تلهيهم بالغناء تلك الجواري اللواتي كان يشتريهن تجار قريش بالثمن الغالي.

حتى إن كتب الحديث تذكر لنا في المدينة بعض الحبشان يسلون عائشة لاعبين بالسيوف. أما نحن فيمكننا أن نرى في أولئك العبيد السود فوق ما يريد أن يراه أرباب الحديث، فلا نتراجع عن السؤال: أو لم يكن حبشان المدينة المذكورين من حرس النبي الأسود؟

---

(1) أطلب ترجمته في أسد الغابة ٥: ٨٣.

(2) الواحدي: أسباب النزول ٢١٥-٢١٦، وأطلب في مهارة الأحباش بالبراز واستعمال السيف والترس، صحيح مسلم ١: ٢٢٨، وصحيح البخاري ١: ١١٦- ١١٧، ٢: ٢.

(3) ابن هشام: السيرة ٥٦٤.

http://kotob.has.it

ولنتقدم في ذكر النصوص القديمة في الحبش والأحابيش. ذكرت السيرة إنه كان في معركة أحد (أحابيش وعبدان أهل مكة)[1] ،ولا يخفى أن واو العطف لا تفيد هنا التفرقة بل الشرح. فنتج أن (الأحابيش) المذكورين لا يمكن أن يكونوا إلا من أهل الحبش، وهو معنى (العُبدان) أيضاً. وذلك أن الأكثرية الساحقة من الرقيق في بلاد العرب الغربية كانت من السودان في هذا العهد. وقد مال بعض العلماء المسلمين إلى هذا الشرح منذ أقدم العصور.

فتخيلوا، في ما تخيلوه من شروح لاسم (الأحابيش)[2]، أن هؤلاء المحاربين سموا كذلك (لاسوادادهم)[3].

كل هذا يدفعنا إلى الاستنتاج بأن الأحابيش كانوا من عنصر أفريقي، وكانوا يؤلفون كتائب سوداء في الجيش العربي، وما أشبهها بكتائب السودان في الجيوش الأوربية اليوم، بكتائب (العسكر) الاريتري في الجيش الإيطالي، وقد كثر الكلام بشأنها في يومنا هذا. يسمي الإيطاليون هؤلاء الجنود الأفريقيين (askari) من لفظ المفرد عسكري. ومن غرائب الاتفاق أن اللفظة نفسها:(عسكر)،(عساكر) كانت تدل، في عرف العرب الأقدمين، على المحاربين المأجورين،

---

[1] ابن هشام: السيرة ٥٦١-٥٦٢: الواقدي: ك.م. ٢٣١، ٢٧٨-٢٧٩، يذكر (عبيد قريش)، (من السودان) يحاربون في أحد، وبينهم وحشي، وصؤاب، وسنعود إلى ذكر هذا الأخير.

[2] ابن الأثير: النهاية ١: ١٩٦، واطلب ما يأتي من الشروح اللغوية للفظة.

[3] تاج العروس ٤: ٢٩٣.

http://kotob.has.it

بخلاف من كانوا يقاتلون في سبيل الذود عن قبيلتهم ومنازلهم. هذا ما يظهر من قول قيس بن الخطيم . الشاعر اليثربي . المتوفى قبل الهجرة بسنوات قلائل[1]. ولعله فكر، في قوله ذاك، باختلاط البدو والسودان اللاحقين بالجيش القرشي، ملمعاً إلى أن قومه آنف من أن يقبلوا معاونة (العسكر) المأجور؛ ولا نرانا مبالغين في استنتاجنا هذا، إذا ما انتبهنا لتلك المنافسة الدائمة بين المدينتين: مكة ويثرب!

بيد أن ما توصلنا إليه من نتائج بشأن المكيين واستعانتهم (بالأحابيش)، وبأصل هؤلاء ومركزهم من الجيش القرشي، لأبعد من أن يقربه التقليد الإسلامي المستند خاصة إلى حوادث (السيرة) و (المغازي) وكلها متأثرة بالرأي العام الإسلامي، على عهد العباسيين، من سيادة قريش، وشجاعتها، وتقدمها في كل شيء منذ العصر الجاهلي. ولا غرابة في الأمر، فإن ما ينسب إلى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص[2] وغيرهما من كبار القرشيين، قادة الفتوح العربية، لا يتفق وما ذكرناه من ميل قريش عن الحرب والكفاح إلى التجارة وتدبير الأموال، وما يتبع ذلك من تأصل الحذر والخوف الدافعين إلى الجبن.

---

[1] راجع ديوانه (Kowalski) ١٨ :٣.

[2] كان عمرو . قبل هجرته إلى يثرب . ينفق كل وقته في أعمال التجارة والمناقشات المالية والإدارية.

http://kotob.has.it

ولا يخفى أن هذه الصفات تلقي ظلاً من الشك يخفف من لمعان تلك المآثر الأسطورية المنسوبة إلى علي وحمزة[1] ،وغيرهما من أبطال (المشاهد) أو معارك الجهاد الملحمية.

وأننا نكتفي الآن بالإشارة إلى هذا التناقض، على أن قدماء المؤلفين أنفسهم لاحظوا شيئاً من ذلك، فحاروا في تعليل تلك الأعمال الخطيرة المنسوبة إلى العبيد من السودان، فأخذوا يخرجونها على طرق متنوعة، منها ما توفقوا فيه، ومنه ما ظهر تكلفه وتعمله، من ذلك أنهم جعلوا (أحابيش) مكة يلتحقون، في يوم أحد، باليثربي أبي عامر الراهب[2] ،فأصابوا هدفين: عللوا شجاعة الأحابيش بطريقة لا تنال من شجاعة قريش المزعومة، وعملوا على خفض شأن السيد النصراني وقد غدا مكروهاً في نظر التقليد المدني، لأنه فضّل استقلاله الشخصي على الخضوع للنظام الشديد الذي سنه النبي في المدينة.

وهناك رواية ثانية عملت على إنكار شجاعة الأحابيش إنكاراً تاماً، فزعمت أن قريشا منعتهم من الاشتراك في المعركة، وتركتهم يحفظون الاعتدة والأمتعة[3]، وكلها محاولات تنم عن حيرة الرواة الأقدمين. والغريب أنها لم تلفت نظر علماء المستشرقين قبل عهدنا،

---

(1) يذكر عن حمزة أنه قتل بيده، في يوم أحد ٣١ رجلاً (أسد الغابة ٣: ١٨٥) أما علي فراجع ملخص مآتيه في أسد الغابة ٤: ١٩-٣١.

(2) أطلب هذا الاسم في فهرس ابن هشام، السيرة: السمهودي ١: ٢٠٢.

(3) الواقدي ٢٢٧، الأغاني ١٤: ١٢.

http://kotob.has.it

فظلوا مدة على اعتقاد ولهوسن بكون (الأحابيش حلفاء قريش السياسيين).

هكذا يحاول الرواة ومؤرخو المغازي الحطّ من عمل الأحابيش في موقعة أحد، وفي غيرها من المواقع، ليظهروا شجاعة قريش، حتى في زمن كانت لا تزال فيه على شركها، فتناوىء النبي وتكسر جنوده وأنصاره كما حصل في موقعة أحد نفسها، على أن التاريخ ينسب هذا الانتصار لشجاعة الأحابيش وكثرة عددهم في الجيش المكي. ولكن لا بأس بذكر شيء من تلك المحاولات، سواء أكانت في تخفيف وقع الإنكسار على النبي وأنصاره، أم في الإشادة بشجاعة القرشيين المنتصرين.

ولا يخفى أن موقف مؤرخي المغازي هنا في غاية الدقة والحرج، فهم في حيرة مزدوجة، ولا مصادر لهم في الحقيقة إلا ذاك الشعر القليل الراقي إلى عهد الحوادث أو إلى ما بعدها بقليل. فكان لابد لهم من استغلاله، إلا أنهم لم يصرحوا بهذا الاستغلال، بل عرضوا ما استفادوه من الشعر، كأنه معلومات مستقلة، ثم أتوا بالأبيات المستغلة شواهد عليها.

بيد أن النقد الحديث كشف الستر عن هذه العملية، إذ تحقق وهن معلومات السيرة إذ لا شعر يسندها، ولاحظ توافق معلومات السيرة والشعر القديم في مواضع النقص والإهمال. أما في ما يهمنا من موقف قريش والأحابيش في أثناء المعركة، فإن حسان بن ثابت، الشاعر

http://kotob.has.it

اليثربي، ذكر أن لواء قصي، جد القرشيين في مكة وواضع دستورهم، نقل من واحد إلى واحد في معركة أحد حتى قتل من حملته عشرة رجال[1]. فأسرعت السيرة إلى تدوين هذا الحادث، وفيه تظهر شجاعة قريش. ولقد كاد اللواء يؤخذ، بعد مقتل هؤلاء العشرة، لولا أن تقدمت امرأة من اللواتي كان القرشيون قد أتوا بهن إلى المعركة (لئلا يفروا)[2] وأسمها عمرة الحارثة[3]، فخاطرت بنفسها ورفعت اللواء. وهذا ما يشير إليه حسان بقوله:

... فلولا الحارثيةُ، أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلابِبِ[4]

وهو لا يدع تلك الفرصة تفوته، فيحمل على القرشيين ويعيّرهم بأن رجالهم لم تطق حمل اللواء، لأن اللواء لا يحمله إلا (الأشراف المعوقون) وهو معنى (النجوم) في قوله:

لم تعلق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللواء النجوم![5]

---

(1) حسان: ديوانه ٥: ١٧، الواقدي ٢٢٢.

(2) الطبري ١: ١٢٨٥؛ ابن هشام: السيرة ٥٥٧؛ السمهودي ١: ٢٠٠.

(3) تجد نسبها في الواقدي ٢٠١.

(4) ابن هشام: السيرة ٥٧١.

(5) الديوان ٥: ٢٢، وشرحه، ص ١٩- ولا بأس بإيراد عدد من أبيات هذه القصيدة، فندل على روح حسان الهجائية ونقمته على قريش، كما نشير إلى المقطع الذي استقى منه مؤرخو (السيرة) في وصف تلك الحادثة. قال مخاطباً بني عبد الدار بن قصي، وهم من المشركين، يوم أحد:

ولي البأس منكم، إذ حضرتم، أسرةٌ من بني قصي، صميم

http://kotob.has.it

ومهما يكن من تلميحات السيرة، فإن السودان. فضلاً عن وحشي. قد اشتركوا في معركة أُحد. ومنهم صواب الحبشي[1]، يتناول اللواء أخيراً فيحميه حتى يُقطع عليه. ولم يغفل حسان بن ثابت هذا الأمر، فاستغله على طريقته من هجو القرشيين بذلك الأسلوب اللاذع، فقال:

جعلتم فخركم فيه لعبدٍ من الشم من يطا عفر الترابِ[2]

من الحق أن حسان مر الهجاء، لاذع اللسان، وافر الفحش[3]، ولكنه يبذل جهده في تخريج انكسار قومه في أحد، وبالتالي فشل المسلمين، وما كنا لنلومه في هذا الاجتهاد. أما الغريب فهو أن تكتفي السيرة بحل أبيات حسان مقتنعةً بمعلوماته وحدها في تأريخ الحوادث،

تسعةٌ تحمل اللواء، وطارت في رعاعٍ من الفنا، مخـــزومُ
لم يولوا حتى أبيدوا جميـعاً في مقامٍ، وكلهم مذمـــومُ
بدمٍ عاتكٍ، وكان حفـاظاً إن يقيموا، أن الكريم كريـمُ
وأقاموا حتى أزيروا شعوباً والفنا في نحورهم محطـــومُ
وقريشٌ تلوذ لنا لـــواذاً لم يقيموا، وخفَّ منها المعلومُ
لم تطلق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللواء النجـــومُ

[1] وقد شاء بعض المؤرخين أرضاء الجميع، فحملوا صواب المذكور عبيداً لبني عبد الدار، حملة اللواء الرسميين (الواقدي ٢٢٥، ابن الأثير: النهاية ١: ٧٠، على أن السيرة لا تذكر كيف انتقل اللواء من عمرة إلى صواب، وأنى لها ذلك ولا مصادر لديها إلا بيت حسان المذكور (السيرة: ٥٧٠-٥٧١؛ ٦١٠) فحيثما كثر الشعر القديم زادت معلومات السيرة، والضد بالضد.

[2] الديوان ٢٠٠: ٢.

[3] حتى أن ابن هشام يحذف عدداً من أبياته بسبب اقذاعها (السيرة: ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٧٣، ٥٨١).

http://kotob.has.it

فتذكرها دون إسناد، أو بإسنادٍ غامض لا قيمة له كقولها: (حدثني بعض أهل العلم)[1] بيد أننا لا نأسف لهذه السذاجة التي تطلعنا، من حين إلى آخر، على طرق السيرة في جمع الأسانيد ونقد المعلومات، فترفع ما قد يعلق في ذهننا من شك في سياسة القرشيين النفعية، وعدم تعرّضهم. ما أمكنهم ذلك. لمخاطر الحروب.

وقد شعر البدو. منذ القِدم. بهذه الصفات في أهل مكة، فعبّروا عنها بأسلوبهم الشائق ذي الصور الفطرية، مشبهين قريش بالضبّ، لأنها تتراجع فتحتمي بالحرم إذا ما أحست بالخطر، كما فعلت في أوائل حرب الفجار، وذلك قولهم: (سمي قريش البطاح الضب للزومها الحرم)[2]، (وقريش البطاح)، تعني سكان أوساط مكة، وهي أحياء السراة من كبار الرأسماليين، مقابلةً (بقريش الظواهر)[3]، وكذلك الكلام عن أهل المدينة من الأنصار، وهم أخبر من غيرهم بالقرشيين، وأقل تلطفاً في نعتهم، إذ كانوا يشبهونهم بالعجائز الصُلع في جبنهم وضعفهم في مواطن القتل[4]، حتى أن يهود يثرب أنفسهم نبّهوا النبي

---

(1) ابن هشام: السيرة ٥٧٠، أما الواقدي فيحذف هذا الاسناد في سبيل إبحار روايته.

(2) البلاذري: الأنساب، المخطوطة المذكورة، ورقة ٢٢ قفا.

(3) اطلب أسد الغابة ٣: ١٧٢، Lammens, La Meeque, 33.

(4) قابل بابيات كعب بن مالك في يوم بدر: ابن هشام، السيرة ٥٣٨، ابن الأثير: النهاية ٣: ٢٧٣.

http://kotob.has.it

كي لا يغتر بانتصاره على قرشيي مكة لأنهم (أغمار لا يعرفون القتال)[1].

ولقد ازداد احتقار اليثربيين لأهل مكة، دون شك، كما يُستنتج من احتجاج النبي أمام الأنصار ودفاعه عن شجاعة قريش[2]، كما دافع أيضاً عن جهالهم، أمام أنصاره المدنيين أنفسهم[3]، ولا بأس بأن نذكر من جملة تلك المنازعات بين القرشيين والمكيين، ما وقع لحسان بن ثابت، والحرث بن هشام المخزومي. وقد فرّ هذا في وقعة بدر، فهجاه حسان وعيّره جبنه وفراره، فلم ينكر الشاعر- وقد كان الحرث شاعراً – ولم يجد غير هذا العذر دفاعاً عن موقفه، بل فراره المخجل، قال:

وعلمت أني، أن أقاتل واحداً أُقتل،ولايضرر عدوي مشهدي[4]

هل هناك أوضح من هذا الإقرار بجبنه وجبن قومه، وفرارهم جميعاً؟ على أن هذا البيت المشؤوم . الذي لا يتقي جمّاع المنتخبات الأدبية من الإعجاب به[5]. لم يمنع الشاعر المخزومي من التمتع باحترام عشيرته، فعندما أراد هجر مكة، لعشر سنوات مرّت بعد الحادثة، ودّعه

---

(1) ابن هشام: السيرة ٢٨٢؛ الواقدي ١٧٨؛ ابن الأثير: النهاية ٣: ١٧٠.

(2) الواقدي: ١١٠، ١٧٨.

(3) أسد الغابة ٣: ٢٧٣.

(4) ديوان حسان ٣: ١١، ١٥١؛ ابن قتيبة: المعارف (الطبعة المصرية) ٩٥؛ ابن هشام:ا لسيرة ٥٢٣، ثم ٥١٧، ٥٣٠، ٥٦٩.

(5) راجع العقد ١: ٤٢.

http://kotob.has.it

سكانها وداعاً قل أن يحدث مثيله، فشيّعوه والحسرة في قلوبهم، والدموع بعيونهم حتى (لم يُرَ يوم كان أكثر باكياً وباكيةً)[1].

ولا شك في أن أولئك الرجال تدارسوا بعضهم بعضاً، فتفاهموا، وتسامحوا ما قد يعدّه غيرهم من مخازي الرجولية. يؤيد ذلك أن النبي نفسه شعر بالحاجة إلى تحليفهم اليمين كي لا يفروا في الحديبية[2]، كلها أسباب دفعت مؤلفي السيرة وأرباب التأريخ الرسمي إلى العمل على إخفاء بعض هذه المخازي، متناسين مقاومة قريش المستطيلة للنبي، مجتهدين في سدل الستار على مظاهر جبنهم، واتقائهم مخاطر الحرب. يوم أُحد. بأحابيشهم وعبدانهم، وهل من حاجة إلى المراجعة وإقرار الترادف بين هاتين اللفظتين؟ إن يكن الأحابيش (حلفاء قريش السياسيين) على ما يريد ولهوسن، فأي معنى محقر في اسمهم، وكيف صارت اللفظة (أحابيش) من أقذع الشتائم وأقبح النعوت كما نراها في فم نابغة الهجاء حسان، وهو من أعرف أبناء عصره بقيمة الألفاظ الهجائية، ومواضع السباب، إذ نراه لا يتردد في استعمالها، عندما أراد هجو بعض أعداء النبي، من البدو، فقال:

أنتم أحابيش جمعتم بلا نسب[3].

---

(1) والتعبير من القوالب التي يرددها الحديث مئات المرات، أطلب الأغاني ١١: ١٥٢، السمهودي ١: ٢٢٧، ٢: ٤٠٩، Le Bereeau, L 196.

(2) أسد الغابة: ٣: ٢٦٥.

(3) الديوان ٦١: ٢.

http://kotob.has.it

هذا السهم الدقيق المسدد يقع دون الهدف، إذا فهمنا (بالأحابيش) ما يقصد المحدثون أن يفهمونا إياه من كونهم (حلفاء قريش السياسيين)، وهم لا يتعبون هذا التعب إلا في سبيل تخليص قريش من عار الالتجاء إلى عبدان أجانب عن العرب. فنراهم يستعملون للفظة (أحابيش)، شروحاً تُرضي السيادة القرشية، مسلمين بأن قوم ابن جدعان، وأبي أحيحة، وأبي سفيان، كانوا يلجأون إلى جيرانهم البدو، إلى الخلعاء، إلى اللصوص من أسلم وغفار، ولا بأس في ذلك ما دام هؤلاء من العرب، وهو ما تفهمه السيرة بلفظة (أحابيش) أو لم يقر معاوية الكبير هذا الحاديث، وهو أشهر من يمثل العلم السياسي عند العرب[1]، فهنأ البدو على محاربتهم في سبيل قريش[2]. وقد كان خليقاً بهذا السياسي الداهية أن يتكلم بما شاءت له مهارته البليغة. على أنه لم يتوصل إلى إقناع شعراء البدو، وفيهم من كان يجمع السذاجة الظاهرة إلى دقة الملاحظة وتفهم حقيقة الأمور، فيقول:

تولت قريشٌ لذة العيش، واتفت بنا كل فجٍ من خراسان، اغبرا[3]

---

[1] أطلب كتابنا Mo'mvia واستنتاجاتنا في .Berceau, I, 332-334

[2] العقد ٢: ٤١ - كان النبي أفضل من يمثل الشجاعة المكية، في نظر المسلمين؛ النبي ثم أبو بكر، وقد ظهر كلاهما في العريش، أي الخيمة من ورق الشجر، في بدر، يراقبان تطورات المعركة، ويصدران الأوامر عن بعد (أسد الغابة ٣: ٢١٢) حتى أن الملك جبريل لام النبي بكل بساطة، فقال: (أنت في الظل، وأصحابك يقاتلون في الشمس!) (أسد الغابة ٥: ١٦٦).

[3] أبو تمام: الحماسة (Freytag) ٦٦٧؛ قابل بابيات عمرو بن معد يكرب؛ (الأغاني ١٤: ٤٠) وفي أسد الغابة (٣: ٣٨٠) أن البدو (مادة الإسلام) راجع Berccau, I, 332.

http://kotob.has.it

هذا في الإسلام، وقد أخذت الإمبراطورية العربية تنشر السيادة القرشية بانتشار أعلامها وجيوشها. أما قبل الفتوح فلم يكن البدو ليصبروا على ادعاء القرشيين، ولا ليحترموا (سخينة)، وشاهدنا ذاك الشعر الجاهلي الذي يفتخر فيه أربابه بانتصارهم على أهل مكة، وبحملهم على (سخينة) حملات لم يوقفها إلا الليل ومنطقة الحرم. وقد ذكرنا شيئاً من هذا الشعر في ما تقدم.

ولا بأس بإعادة بعضه، من ذلك قول خداش بن زهير:

يا شدةً ما شددنا، غير كاذبةٍ على سخينة، لولا الليل والحرم[1]

بيد أن بني غفار لم يكونوا ليحترموا الحرم. كما تقدم لنا فذكرناه في أول هذا المقال. أما غيرهم من البدو فكانوا يتجاوزون ذلك في ذكر شجاعتهم وبطشهم بالقرشيين، فيقولون ما قال عبد الله بن همام:

إذاً لضربتهم حتى يعودوا لمكة يلعقون جما السخينا[2]

وإننا لنخطىء إذا صدقنا هذه الأقوال، كما هي، ولكن مهما كان فيها من المبالغة، فإن القرشيين كانوا، في العصر الإسلامي، يشعرون بشدة وطأة تلك التذكارات القديمة، وبعدم توافقها والسيادة الحالية

---

[1] الجاحظ: البخلاء ٢٥٨؛ الأغاني ١٩: ٧٦؛ العقد ٣: ٩٢.

[2] الجاحظ: البخلاء ٢٥٨؛ Yazid, 46 – وهناك بيت في هجو (سخينة) أورده صاحب الأغاني ١٥١: ٢٩، وهو:

همت سخينة أن تغالب ربها وليغلبن مغالب الأغلاب

http://kotob.has.it

على العالم العربي. فكان لابد من محوها شيئاً فشيئاً، والعمل على أن تبدل بها سيادة قرشية تستند إلى أقدم العصور، هذا ما كان من واجبات المؤرخين الرسميين، وهم يكتبون تحت مراقبة خلفاء بغداد، أشهر من يهمهم هذا الإبدال.

ولنعد إلى الأحابيش أو العساكر السود، فكر النبي. بعد فتح مكة. بالسير على بني هوازن، فنصحه أبناء وطنه أن يستخدم . في ذلك . الحُبشان وأكثرهم من رقيق بني مخزوم[1]، وإذاً فقد كان هذا النوع من التجنيد معروفاً، على أن النبي أجاب، كما يزعمون، بقوله: (لا خير في الحبش،÷ إن جاعوا سرقوا، وإن شبعوا زنوا)[2]. وأي حكم أوضح من هذا، وأشد وقعاً! وكيف لنا بالبرهان على شجاعة القرشيين المشركين، الذين فروا في بدر، والخندق، ويوم الفتح، وكانوا يدفعون بالعسكر المأجور ليحارب عنهم، حتى أنهم حضروا وقعة حنين حضور المشاهدين ليس غير ولم يخطىء الأنصار إذ وصفوهم فقالوا: (كثير شحم بطونهم)، وهي صفة رجال الأعمال المستقرة، والتجارة المطمئنة، لا رجال الكد والسفر والحروب، وهناك مشكل جديد يقتضي بعض الشرح. وهو أن النبي نفسه الذي يحكم الحكم الشديد على الحُبش في هذا القول فينفي صلاحهم للحرب، يمدح، في قول آخر، خالد بن

---

(1) الأغاني ١ : ٣٣.

(2) الأغاني: الموضع نفسه؛ والسيوطي: الموضوعات ١ : ٣٢١.

http://kotob.has.it

الوليد لأنه وقف (رقيقه في سبيل الله)[1]، أي في سبيل الجهاد، في سبيل الحرب المقدسة.

ولم يكن رقيق خالد . وهو مخزومي . إلا من أولئك العبيد، لأن الرقيق الأبيض كان نادراً في مكة آنذاك[2]. ومهما يكن من أمر، فإن المؤرخين الرسميين لا يرضون، بحالٍ من الأحوال، أن يخلط بين هؤلاء العبيد الحُبْشان (وأحابيش) قريش. وهم يزعمون أن (الأحابيش) بدو من قبائل تهامة، وقبائل جنوبي الحجاز، من كنانة[3] وخزاعة، وإذاً فهم عرب خُلص[4]، كانت قريش . استناداً إلى معاهدات ومحالفات سابقة، تستدعيهم للاشتراك معها في الحروب. وهذا معنى ما يوردونه من أقوال عن قريش وأنها كانت (تستجلب العرب في بواديها)[5]، وأحياناً كانت تستأجر حياً كاملاً من قبائل العرب[6].

---

(1) أبو عبيد: غريب الحديث (محفوظة كوبرولو، ستانبول) ص ١٠؛ ابن الأثير: النهاية ٣: ٢٠.

(2) راجع الأغاني ١ : ٣٣.

(3) قابل بشطر يورده ابن هشام: السيرة ٧٠١، لشاعر مكي معاصر: جمع من كنانة غير عُزلِ.

(4) ابن قتيبة: المعارف (طبعة مصر) ٢٧؛ العقد ٢: ٤٧؛ الأزرقي ٧١؛ البكري: معجم ٢٦٣-٢٦٤ ابن دريد: الاشتقاق ١١٩؛ ياقوت: معجم (طبعة مصر) ٣: ٢١١؛ الأغاني ١٩: ٧٦ وقد ذكر ميل خزاعة إلى مخالفة محمد منذ الهجرة خاصة، الواقدي ٣٢٩؛ الطبري ١: ١٥٢٥.

(5) الواقدي ٢١١: وقابل يقول حسان المذكور آنفا: أنتم أحابيش جمعتم بلا نسب!

(6) الواقدي ٢٦٣ أو يصح أن نرى الأحابيش في أولئك الشذاذ من (أوباش وأتباع قريش)، الذين قاوموا خالد بن الوليد، يوم الفتح؟ الطبري ١: ١٦٣٥، الحازمي: ناسخ

http://kotob.has.it

أما من لا يكتفي بهذه الشروح الواضحة في نظر المؤرخين الرسميين، فلا يستحق الجواب الشافي، على أن هناك مشكلاً لم يُحل، وهو الشبه الغريب بين لفظ (الأحابيش) واسم سكان حدود الاريتره الغربية. وهنا أخذت مخيلات لغويي العرب بتوليد الشروح والمشابهات المتنوعة، ولا شيء يصدّ تلك المخيلات في سبيل الشرح والتعليل. فكلما غرب اللفظ غرب شرحه وبعُد استخراجه يسهل ذلك ما في أصول الفقه من مرونة، وما في تصاريفها وصيغها من لين وتنوع. فكانت النتيجة أن من يشرح لفظ (الأحابيش) بقرابته مع (الحبش) و(الاحبوش) ويضلل. أو ليس في اللغة فعل (تحبش) بمعنى (اجتمع) يعززه عدد من أقوال الأئمة ونصوص القدماء[1]؟ وإذاً (فالأحابيش) غير سكان بلاد الحبش. يُسلم اللغويون والمؤرخون بأنهم من العسكر المأجور الذي كانت تستخدمه قريش، لأنهم لا يمكنهم إنكار كل الحقائق التاريخية على أنهم يتراجعون أمام الفكرة بأن قريش استعانت بالحبش. فيجعلون الأحابيش من العرب، تحالفوا مع قريش، قديماً[2]،

ومنسوخ ١٥٤؛ ابن الأثير: النهاية ٤: ١٩- وعلينا أن نشير هنا إلى أن مادة (الأحابيش) غير موجودة في دائرة المعارف الإسلامية.

(١) اطلب ابن السكيت: تهذيب الألفاظ (طبعة شيخو) ٥٣، ٧٠٦؛ ابن قتيبة: المعارف ٢٠٢، نقلاً عن حماد الراوية؛ حسان بن ثابت : ديوانه ٦٣: ٢، وابن هشام: السيرة ٢٤٦، ٢: ٨٠.

(٢) أطلب رواية نقلها صاحب الأغاني (١٦: ٦٦، ٦٧) ولكنها غير قديمة، وعليها مسحة الوحي العباسي.

http://kotob.has.it

فكانت تستعين بهم لتعبئة جيوشها[1]، أما اسم (الأحابيش) الذي يُطلق على هؤلاء العساكر فيشقه اللغويون من اسم جبل حبشي الذي تحالفوا عنده، وهذا قول ابن دريد عنهم: (حلفاء قريش تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسموا الأحابيش)[2].

أي شرح أبسط من هذا، وأقطع السؤال والاستيضاح والنقد، على أن النقد لا يؤمن بهذه البساطة، فيسأل: ولماذا سار المكيون بعيداً، ففتشوا عن موضع لإجراء ذلك التحالف، خارجاً عن حرمهم؟ ولا يخفى أن المعابد كانت كثيرة في مكة، ويقول الحديث إن العرب كانوا يقدمون إليها من جميع أنحاء بلادهم، بل من الشام والجزيرة ليعقدوا محالفاتهم أو ليجددوها[3] ولا يمكن القول أن موقع الحلف اختاره (الأحابيش) أنفسهم واضطروا قريش إلى قبوله. فإن أولئك المعاهدين، في نظر الرواة، كانوا من خزاعة ومن كنانة، ويظهر أن بعض المؤرخين شعروا بإمكان هذا الاعتراض، فحاول اليعقوبي التخلص منه واضعاً في فناء الكعبة مكان حلف الأحابيش[4]، ولا شك في أنه بهذا الوضع أولى الحلف روعة دينية لم تكن له، ولكنه. بحذفه جبل (حبشي). أفسد

---

(1) وهو معنى (استأجر) الواردة في كثير من النصوص القديمة، أطلب الأغاني ١٨: ٣١٢.

(2) ابن دريد: الاشتقاق ١١٩؛ ابن هشام: السيرة ٢: ٨٠.

(3) ابن سعد: الطبقات ١: ٤٤، وهكذا يعمل المحدثون على جر قبائل كلب وتغلب إلى مكة أحياناً.

(4) اليعقوبي: تاريخه ١: ٢٧٨، ١٧٩، وقد استند التاريخ إلى الشعر على طريقته المعروفة، قابل بها في ابن هشام السيرة ٥٥٦، وهو يذكر الحطيم (والحطيم) معبود لم تحقق هويته بعد.

http://kotob.has.it

على اللغويين شرحهم واجتهادهم في تخريج أصل (الأحابيش) من غير سكان الحبش..

بيد أن هؤلاء لم يتنازلوا عن جبلهم (حبشي)، بل ظلوا متمسكين به، على حيرتهم واضطرابهم في وضعه من تلك الأرض، وهو بحث سنعود إليه، فيزيد معلوماتنا عن أصل (الأحابيش) في جزء مقبل من (المشرق) إن شاء الله.

http://kotob.has.it

الأحابيش

والنظام العسكري في مكة

زمن الهجرة: القسم الثاني

لقد حاولنا في القسم الأول من هذا البحث[1]، أن نزيل شيئاً من الغموض العالق (بالأحابيش) لفظاً وحقيقةً، فتحققنا وجود أولئك العساكر السود في الحبيش القرشي، وأشرنا إلى أن التاريخ الرسمي أبعد من أن يُقر به. إنما هو يجعل من (الأحابيش) عن بلاد الحبش، إلى جبل في جزيرة العرب ينسبون إليه أولئك الأحلاف فيقول عنهم ابن دريد: (حلفاء قريش تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسموا الأحابيش)[2].

وانتهينا إلى اضطراب اللغويين في وضع جبلهم المزعوم من بلاد العرب، وذلك أنهم في تحقيقاتهم الحاذقة اللقة لا ينتبهون للجغرافية. بل قد يضطربون في تعيين، لا موضع ذاك المحل فقط، بل طبيعته أيضاً حتى

---

[1] في (مشرق)، ١-٢٢.

[2] ابن دريد: الاشتقاق ١١٩؛ ابن هشام: السيرة ٢: ٨٠.

http://kotob.has.it

ليجوز لنا أن نسأل أهو جبلٌ ام وادٍ؟[1] إنما يكتفي جمهورهم بوضعه في منطقة مكة، أو في بلاد تهامة. ولا يخفى ما في هذا التعيين غير المترجح من مثيرات الشك. وهو ما لاحظناه غير مرة في مؤلفي (المعاجم) من انصرافهم عن الأخذ بطريقة الاختبار والتحقق الشخصي في الشؤون الجغرافية، هذا على ما في معاجمهم من غزارة مادة، وسعة معلومات.

وليس من شك في ان هذا الضعف النقدي، بل هذا النوع من مظاهر الكسل العقلي، يحط كثيراً من قيمة تلك المجاميع. وهذا ياقوت يقترح . في سرعته المعهودة . بأن يجعل الموضع المقصود في وادي نعمان الأخضر[2]، نعمان الآراك[3]، المشرف على المناسك في عرفة ومنى، وما دامت المسألة مسألة اقتراح وفرضيات فلم لا يكون لنا جبال بدل جبل واحد؟ أو لم يمل الأزرقي إلى التمييز بين حبشي، جبل التحالف، وحبشي وهو جبل آخر لا شأن له، مؤكداً أن الاسم المذكور آنفا(لم يُنسب إلى رجل حبشي)[4].

ومعلوم أن الكهان والعرافين كانوا . زمن الجاهلية . يجنحون إلى المرتفعات[5] فينصرفون فيها إلى القيام بشعائر مهنتهم الخاصة. فكان لهم

---

(١) يذكر ابن هشام (السيرة ٢٤٦) وادي الأحباش، فهل يمهد السبيل في ذلك إلى التقريب بينه وبين الأحابيش؟

(٢) اطلب كتابنا Le B erceau de l'Islam, I, 69.

(٣) ياقوت (الطبعة المصرية) ٣: ٢١١.

(٤) الأزرقي (Wustenield) ٧١، ٤٩١.

(٥) أسد الغابة ٥: ٧؛ السيرة الحلبية ١: ٢١٢.

http://kotob.has.it

حول مكة كثير من تلك القمم تعلوها أماكن العبادة[1]، فلا عجب إذاً بأن يكون المفسرون من الاختصاصيين بشرح (الغريب)[2]، قد لجأوا إليها مفتشين عن اسم يمكنهم أن يقربوا بينه وبين (الأحابيش). ومن يفتش بجد في تلك الكثرة من أسماء الأعلام الوافرة في مناطق الصحراء. وإذاً فقد اكتشف العلماء هذا الاسم محرّفاً بعض الشيء في الآليات، أو الإيمان القديمة، التي كان يكثر منها العرب في جميع عصورهم؛ وكأنهم لا يقنعون بالتعبير البسيط عن أفكارهم، فينفرون عن الاكتفاء بالقول: (نعم، نعم، ولا، لا)[3]، مسيرين بطبيعتهم المندفعة وأهوائهم المضطربة حركةً وحياةً إلى تأييد كلامهم باليمين، بل بسلسلة من الإيمان يرسلونها فطرةً في أحاديثهم البسيطة، وفي أقوالهم الرفيعة، في قصائد شعرائهم وفي أسجاع كهانهم خاصة. بل أن بعض السور القرآنية لا تعرف من أنواع الخطابة إلا القسم[4]، ولقد كان من الطبيعي أن تكثر في هذه الأيمان أسماء المرتفعات التي يأوي إليها الكهان وحجارتهم المؤلهة، فيستشهد

---

[1] راجع لائحة تلك المرتفعات الكثيرة في الأربعين الصفحة الأخيرة من مؤلف الأزرقي (Wustenield).

[2] وهو تلك الألفاظ القديمة، والتعابير الغريبة الاستعمال، الحافلة بها الأحاديث المنسوبة إلى النبي، ولا يخفى أن أكثرها مدسوس، أدخله الواضعون ليوهموا الناس قدم تلك الأحاديث وصحة نسبتها، ولا يزال يغتر بهذه المظاهر عدد كبير من علماء الإسلاميات ممن ينقصهم التضلُّع أو يجيب بهم التسرع والعجلة.

[3] متى ٥: ٢٧.

[4] قابل بها في القرآن ١٩: ٦٩.

http://kotob.has.it

بها البدوي على صحة قوله[1] فيحلف أنه مقيم على العهد (ما أقام الحبشي)[2] مثلاً؛ أو (مارسا حُبشي)[3]، أو حَبَشي. أما في الإيمان القرشية فكثيراً ما استبدل بحبشي جبل ثور، أو ثبير، أو حِراء[4]، أو أبو قبيس، وكلها مرتفعات إلى المجتمع المكي[5]، وأبعد شهرة بفضل مناسك الحج السنوي.

ولم يكن اللغويون ليطلبوا أكثر من هذه الاكتشافات، فعلقوا بها ووضعوا قرب حبشي مكان ذاك التحالف العسكري. بيد أنهم. لسوء الحظ. لم يتفقوا على لفظ الاسم، هل هو حَبَشي، أم حُبَشي، أم أحباش، أم حَبِيش؟ كل هذا ينم عن استقائهم المعلومات من الكتب، معرضين عن طريقة التحقق الشخصي. وقد مال البكري إلى تفضيل لفظ (حَبِيش)، وهو أقلها وروداً، ذاكراً أن (أهل الحديث) يميلون إلى حُبشي. وهذا قوله: (وحبِيش جبلٌ بمكة، وبه سُميت الأحابيش حلفاء قُريش، لأنهم تحالفوا تحته ألا ينقضون ما أقام حبيش، وأهل الحديث يقولون حُبشي،

---

(1) الجاحظ: الحيوان ٤: ١٥٠؛ أسد الغابة: ٥: ٧؛ ابن هشام ١٢٢؛ ابن الأثير: النهاية ٣: ٢٧٢، ٣: ٤٥، ٤: ٥٩؛ الهمداني: جزيرة العرب ١٢٦؛ البكري: المعجم ٦٠٣.

(2) البكري: المعجم ٢٦٣-٢٦٤؛ ابن قتيبة: المعارف ٢٠٣.

(3) ياقوت: المعجم (الطبع المصرية) ٣: ٢١١، وهو يكتب أيضاً: حبيش.

(4) الأغاني ١٣: ٣٩، ٨٥، وينزل هذا الجبل في كتب (الصحيح) منزلة جبل الطور أو طابور في الإنجيل، أسد الغابة ٣: ٢٧٨، ٤: ٦٣.

(5) لقد درسنا تأثير هذه المرتفعات في كتابنا: Les samctuaires preslamites dans l'Arabie occidentale, p. 21.

http://kotob.has.it

المحتويات

مقدمة المركز الأكاديمي للأبحاث ٥
دراسات الاب لامانس عن مكة ٧
الأحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة:القسم الاول ٩
الأحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة:القسم الثاني ٥٢
النصارى في مكة قبيل الهجرة معلومات وملاحظات..... ٩١

دراسة المستشرق كستر عن مكة ١٦٠
مكـة وَصِلَتُها بالقَبائِلِ العربية ١٦٠
ترجمة المؤلف..... ١٦٢
مكة وتميم(مظاهر من علاقاتهم)..... ١٦٦

http://kotob.has.it

قائمة إصدارات المركز الأكاديمي للأبحاث

•نقد الرواية التاريخية ، عصر الرسالة أنموذجا ،د.عبد الجبار ناجي، ٣١٨ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-9953-88-762-3 .

•التشيع والاستشراق عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية وأئمتها، د.عبد الجبار ناجي،٤٨٠ صفحة قطع متوسط ،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-9953-88-760-9 .

•محمد والفتوحات، فرانشيسكو كبريلي، ترجمة:د. عبد الجبار ناجي، ٤١٦ صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-9953-88-761-6 .

•أبحاث في التاريخ الإسلامي، د. جواد علي، دراسة ومراجعة: د. نصير الكعبي، ٥٣٥ صفحة قطع كبير(وزيري)، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود(ISBN):978-9953-88-764-7 .

•أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دراسة ومراجعة : د. نصير الكعبي،٥١١ صفحة قطع كبير(وزيري)، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-9953-88-763-0 .

•اليزيديون وأصولهم الدينية ومعابدهم والأديرة المسيحية في كردستان العراق، توماس بوا، ترجمة : سعاد محمد خضر، ١٩٠ صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-9948-88-757-9 .

•كنيسة المشرق . التاريخ . العقائد، الجغرافية الدينية، الأب الدكتور يوسف حبي، ٥١٤ صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، باركود(ISBN):978-9948-88-7756-2 .

http://kotob.has.it

•يهود كردستان ورؤسائهم القبليون(دراسة في فن البقاء)، مردخاي زاكن، ترجمة: سعاد محمد خضر، ٤٦٢ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):5-755-88-9948-978 .

•المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، جولد زيهر، ترجمة حسن عبد القادر، ١٨٢ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 8-754-88-9948-978.

• أذربيجان في العصر السلجوقي ، د. حسام الدين علي غالب النقشبندي ، ٤٢٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود: (ISBN) 1-753-88-9948-978.

•عبد الكريم قاسم في ضوء ملفته الشخصية ، د. عماد عبد السلام رؤوف ، ٢١١ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 4-752-88-9948-978 .

•كعب الأحبار: مسلمة اليهود في الإسلام،اسرائيل ولفنسون(أبو ذؤيب)،١٥٣ صفحة ، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 7-751-88-9948-978.

•المفصل في نشأة النوروز الذهنية الابداعية . دراسة في فكرة الأعياد الشرقية، د. حسين قاسم العزيز،٤٢٦ صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود:(ISBN) 0-750-88-9948-978.

•معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الايطالية إلى العراق،الأب د.بطرس حداد، ترجمة عن الإيطالية،١٧٤ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):4-749-88-9948-978 .

•المغول التركية الدينية والسياسية، بروفسور شيرين بياني، ترجمه عن الفارسية : سيف علي، دراسة ومراجعة: د. نصير الكعبي، ٥٥٧ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):7-748-88-9948-978 .

http://kotob.has.it

•الحركات الدينية في إيران في القرون الإسلامية الأولى، د. غلام حسين صديقي،ترجمه عن الفارسية د. نصير الكعبي، ٤٤٢ صفحة، قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):0-747-88-9948-978 .

•الألم الخلاصي في الإسلام . دراسة في المظاهر الدينية لمراسم عاشوراء عند الشيعة الامامية، بروفسور محمد أيوب، ترجمه عن الانكليزية: الأب أمير ججي الدومنيكي،٣٣٧ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN) :743-88-9948-978 .

•الاستشراق في التاريخ: الاشكاليات، الدوافع ، التوجهات . الاهتمامات، د. عبد الجبار ناجي،٥٨١ صفحة قطع كبير(وزيري)، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN) : 6-745-88-9948-978.

•المدارس التاريخية الإسلامية مدرسة البصرة أنموذجا، د. عبد الجبار ناجي،٣٦٥ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 9-744-88-9948-978.

•تاريخ اليهود في بلاد العرب، اسرائيل ولفنسون(أبو ذؤيب) ، ترجمة د. مصطفى جواد،٢٦٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 2-743-88-9948-978.

•المعتقدات الدينية في العراق القديم، د. سامي سعيد الأحمد، ١٦٥ صفحة، الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف،بار كود: (ISBN)5-742-88-9948-978 .

•الديانات الشرقية القديمة: الزردشتية والمانوية، بروفسور سيد حسن تقي زاده، د. محمد مهدي ملايري،١٦٦ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود: (ISBN)3-3-9921030-0-978 .

•الطوفان في المصادر السومرية . البابلية . الآشورية . العبرانية،أ. فؤاد جميل،٨٤ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، بار كود(ISBN):2-0-9921030-0-978 .

http://kotob.has.it

•الامومة عند العرب دراسة في أنماط الأنوثة والنكاح،المستشرق الهولندي ج.أ.أويلكين،٩١،قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN)2-02-927946-1-978 .

• البلاط و المجتمع الإسلامي وعلم التاريخ: دراسة في سيسيولوجيا الكتابة عند المسلمين،المستشرق البريطاني جبي روبنسون، ترجمه عن الانجليزية د. عبد الجبار ناجي،٤٨٧: صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):.978-0-9921030-1-9 .

• تاريخ الإلحاد في الإسلام، الدكتور عبد الرحمن بدوي٢٥٣صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف. بار كود(ISBN):978-0-9921030-6-4

•الصابئة المندائيون الأصول . الشرائع . الكتاب المقدس،الأب انستاس ماري الكرملي، ١٠٨صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-0-9921030-4-0 .

•معرفة الشرق في العصر العثماني الرحلة الفرنسية إلى العراق ، الرحالة أوليفييه، ترجمه عن الفرنسية:الأب د.يوسف حبي، ٢٩٢صفحة قطع ،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود(ISBN):978-0-9921030-8-8 .

• الإبل والخيل في العالم الشرقي القديم ، أ. رضا جواد الهاشمي،١٠٦ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):978-1-927946-01-5 .

•الحركات الاجتماعية في القرون الإسلامية الأولى، رضا رضا زاده لنكرودي، ترجمه رحيم حمداوي، راجعه وقدم له د.نصير الكعبي،٤٠٩صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-0-9921030-2-6 .

http://kotob.has.it

•دراسات عن أساطير شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام :مدخل لفهم معتقداتهم ، الدكتور حسين قاسم العزيز ٤١٠ صفحة، قطع متوسط، الورق ، بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN)1-7-1030-9921030-0-978 .

•مملكة كندة في شبه الجزيرة العربية،المستشرق الهولندي جونار اولندر٢٨٥ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):8-00-927946-1-978 .

•مكة في الدراسات الاستشراقية، المستشرق البلجيكي الأب لامانس،المستشرق البريطاني البروفسور كستر،٢٣٩صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود(ISBN):5-9-1030-9921030-0-978 .

•بغداد في القرون الوسطى، البروفسور جورج مقدسي،١١٠ ،ترجمة :د.صالح احمد العلي صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):7-5-1030-9921030-0-978 .

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.